رسالة

عبد الله بن اسمٰعيل الهاشميّ

الى

عبد المسيح بن اسحق الكنديّ

يدعوه بها الى الاسلام

ورسالة

عبد المسيح الى الهاشميّ يردّ بها عليه

ويدعوه الى النصرانية

بسم الله الواحد الصمد

ذكر انه كان في زمن عبد الله المامون رجل من نبلاء الهاشميين واظنه من ولد العباس قريب القرابة من الخليفة معروف بالنسك والورع والتمسك بدين الاسلام وشدة الاغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهور بذلك عند الخاصة والعامة وكان له صديق من الفضلاء ذو ادب وعلم كندي الاصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية وكان في خدمة الخليفة وقريبا منه مكانا فكانا يتواددان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه وبالاخلاص له وكان امير المومنين المامون وجماعة اصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك وكرهنا ان نذكر اسميهما لعلة من العلل فكتب الهاشمي الى النصراني كتابا هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد افتتحت كتابي اليك بالسلام عليك والرحمة تشبها بسيدي وسيد الانبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين الينا اخبار نبينا عليه السلام قد رووا لنا عنه ان هذه كانت عادته وانه كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم ولا يفرق بين الذمي منهم والامي ولا بين المومن والمشرك وكان

يقول اني بُعِثْتُ بحسن الخُلق الى الناس كافةً ولم أُبْعَثْ بالغلظة والفظاظة ويستشهد الله على ذلك اذ يقول ان الله بالمؤمنين رَؤوفٌ رَحِيمٌ وكذلك رأيتُ مَنْ حَضَرْتُهُ من ايمتنا الخلفاءَ المهتدين الراشدين رضي الله عنهم اجمعين انهم كانوا لفضل ادبهم وشرف حسبهم ونبل همتهم وكرم اخلاقهم يتتبعون اثر نبيهم صلى الله عليه وسلم ولا يفرقون في ذلك ولا يفضلون فيه احداً فسلكتُ ذلك المنهج واحتذيتُ تلك السُبل واخَذْتُ ذلك الادب المحمود فابتدائك في كتابي هذا بالسلام والرحمة لئلا ينكر عليَّ مكر يقع اليه كتابي هذا .
والذي حملني اليك وحثني على ذلك محبتي لك اذ كان سيدي ونبيي محمدٌ صلى الله عليه وسلم يقول محبة القريب ديانة وايمان على اني كنت طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك ايانا وما انت عليه من محبتنا وتظهره من مودتنا والميل الينا وما اري ايضًا من اكرام سيدي وابن عمي امير المؤمنين ايده الله لك وتقريبه اياك وثقته بك وحسن قوله فيك فرأيتُ ان ارضى لكَ ما قد رَضِيتهُ لنفسي واهلي ووالديَّ مخلصا لك النصيحة ومبذلها كاشفًا عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والامن من العقاب في المآب اذ يقول تبارك وتعالى "ملة ابراهيم حنيفا" (بقرة ١٢٩) ويقول عز وجل وقوله الحق " الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين " (الزخرف ٦٩) ويقول ايضاً موكداً " ما كان ابراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " (آل عمران ٦٠)

ورغبتُ لك في ما رغبتُ فيه لنفسي وشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة ادبك وبارع علمك وحسن تهذيبك وجميل مذهبك وشرف حسبك وتقدمك على الكثير من اهل ملتك ان تكون مقيمًا على ما انت عليه من ديانتك هذه فقلت اكشف له عما منَّ الله به علينا واعرفه ما نحن عليه بألين القول واحسنه متَّبعاً في ذلك ما اذن الله به اذ يأمرني ويقول جل ثناؤه "ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن" (عنكبوت ٤٥) فلست اجادلك الا بالجميل من الكلام والحسن من القول واللين من اللفظ لعلك تنتبه وترجع الى الحق وترغب في ما اتلوه عليك من كلام الله جلَّ جلاله الذي انزله على خاتم الانبياء وسيد ولد آدم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ولم ايئس من ذلك بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشآء وسألته ان يجعلني سببا في ذلك ووجدت الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه " إنَّ الدين عِنْدَ الله الاسلام " (آل عمران ١٧) ويقول الله ايضًا موكدًا لقوله الاول " وَمَنْ يَبْتَغِ غيرَ الاسلام ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (آل عمران ٧٩) ثم اكَّد ذلك تبارك وتعالى امراً قاطعاً اذ يقول " يا ايُّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون " (آل عمران ٩٧) وانت الرجل عافاك الله من جهل الكفر وفتح عليك لنور الايمان تعلم اني رجل اتت عليَّ سنون كثيرة وقد تبحّرتُ في عامة الاديان وامتحنتها وقرات كثيرا من كتب اهلها وخاصة كتبكم معشر النصارى فاني عنيت بقرآة الكتب العتيقة والحديثة التي انزلها الله على موسى وعيسى

وغيرهما من الانبيآء عليهم السلام فاما الكتب العتيقة التي هي النوراة وكتاب يشوع بن نون وسفر القضاة و سفرا صمويل النبي وسفرا الملوك وزبور داود النبي وحكمة سليمان بن داوود وكتاب أيوب الصديق وكتاب اشعياء النبي وكتاب الاثنى عشر نبيًا وكتاب ارمياء النبي وكتاب حزقيال النبي وكتاب دانيال النبي فهذه هي الكتب العتيقة . فاما الكتب الحديثة فاولها الانجيل وهو اربعة اجزاء الاول منها بشارة متى العشار والثاني بشارة مرقص ابن اخت سمعان المعروف بالصفا والثالث بشارة لوقا الطبيب والرابع بشارة يوحنا بن زبدى فهذه اربعة اجزآءٍ منها بشارة رجلين من الحواريين الاثنى عشر الذين كانوا ملازمين للمسيح صلوات الله عليه وهما متى ويوحنا وبشارة رجلين من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح صلوات الله عليه بعثهم الى الامم دعاة له وهما مرقص ولوقا . ثم كتاب قصص الحواريين واحاديثهم واخبارهم من بعد ارتفاع المسيح الى السمآء الذي كتبه لوقا ورسائل بولص الاربع عشرة . فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق وقد علمت كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من اهل فرقكم هذه الثلث التي هي ظاهرة اعني الملكية القايلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكرلس وهم الروم . واليعقوبية وهم اكفر القوم واخبثهم قولا واشرهم اعتقادًا وابعدهم من الحق القائلون بمقالة كيرللوس الاسكندراني ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي انطاكية . والنسطورية أصحابك وهم لعمري اقرب واشبه باقاويل

المنصفين من أهل الكلام والنظر واكثرهم ميلا الى قولنا معشر المسلمين وهم الذين حمد نبينا صلّى الله عليه وسلّم أمرهم ومدحهم واعطاهم العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في عنقه واعناق اصحابه ماجعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السجلات واكّد امرهم عندما صاروا اليه حين آفضي الامر اليه واستوثق له فأتوه وتحرّموا بحرمته وذكّروه بمعونتهم اياه على اعلان امره واظهار دعوته وما مكن الله له صلعم وذلك ان الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكّن الله له وصار اليه فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر توادّه لهم واطالة محادثتهم ويرى كثيرا عندهم مخاطبا لهم في تردده الى الشام وغيرها وكان الرهبان واصحاب الاديرة يكرمونه ويجلونه طوعًا ويخبرون اصحابهم بما يريد الله ان يرفع من امره وعلن من ذكره وكانت النصارى تميل اليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشر ويريدونه من الغوائل مع مودتهم له واجلالهم اياه واصحابه فعند ذلك نزل الوحي على نبينا عليه السلام وشهد الله لهم في القرآن قائلا " لَتجدَنَّ اَشدَّ الناس عَداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا (يعني مشركي قريش) ولَتجدَنَّ اَقربَهم مَودةً للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بانّ منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون." (مائدة ٨٥) وعرف النبي عليه السلام بما أنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونياتهم وانهم اصحاب المسيح حقا السائرون بسيرته الآخذون بسنته اذ كانوا لا يرون القتال ولا يستحلون المال ولا يغشون احدًا ولا يريدون بالناس سوءا ولا مكروهاً

وانهم طالبو السلامة ولا يصرون على حسد ولا على عداوة بل يعتقدون الفضل على الناس اجمعين فاعطاهم نبينا عليه السلام لذلك ما اعطاهم من العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب اصحابه ووصى بهم تلك الوصية عندما اطلعه الله على ما اطلعه عليه من امرهم وبرآة ساحتهم . فنحن مقرون بذلك غير جاحدين ولا منكرين وناظرون لهذا الفعل وآخذون بهذه السنة وقابلون لهذه الوصية وموجبون هذا الحق على انفسنا . ولقيتُ جماعة من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم ودخلتُ عمارا وديارات وبيعاً كثيرة وحضرتُ صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمونها صلوات الاوقات وهي صلوة الليل وصلوة الغداة وصلوة التالثة التي هي صلوة السحر وصلوة نصف النهار اعني صلوة الظهر وصلوة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر وصلوة الغروب التي هي صلوة بين العصر والعشآء وصلوة الشفع وهي صلوة العشآء المفروضة وصلوة النوم التي يصلونها قبل اخذهم مضاجعهم ورأيتُ ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بالصاق الخدود بالارض وضرب الجبهة والتكتّف الى انقضآء صلواتهم خاصة في ليالي الآحاد وليالي الجمع وليالي الاعياد التي يسهرون فيها منتصبي الارجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله ويصلون ذلك بالقيام نهارهم اجمع ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس وايام الاعتكاف التي يسمونها ايام البواعيث وقيامهم فيها حفاة على المسوح والرماد باكين بكآءً كثيرًا متواترًا بانهمال دموع من الاعين والجفون منتحبين بسحق عجيب ورايتُ علمهم القربان كيف يحفظونه

بالنظافة في خبزهم اياه ودعائهم عند عمله الدعآء الطويل مع التضرع الشديد عند اصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوة خمراً ورأيتُ ايضًا ما يتدبر به الرهبان في قلاليهم ايام صياماتهم الستة اعني الاربعة الكبار والاثنين الصغيرين وغير ذلك فهذا كله كنت له حاضرًا ولاهله مشاهدًا وبه عارفًا عالماً ورأيتُ ايضاً مطارنة واساقفة مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم مشهورين بشدة الاغراق في الديانة النصرانية مظهرين غاية الزهد في الدنيا فناظرتهم مناظرة نصفة طالباً للحق مسقطاً بيني وبينهم اللجاج والمرآء والمكابرة بالسلطة والصلف والبذخ بالحسب واوسعتهم امنا ان يقوموا بحجتهم وينكلوا بجميع ما يريدونه غير مواخذٍ لهم بذلك ولا متعنّت عليهم في شيٍ كمناظرة الرعاع والجهال والسقاط والعوام والسفهآء من اهل ديانتنا الذين لا اصل لهم ينتهون اليه ولا عقل فيهم يُعوّلون عليه ولا دين ولا اخلاق تحجبهم عن سوء الادب وانما كلامهم العنت والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة بغير علم ولا حجة . وكانوا اذا انا ناظرتهم وسالتهم مسالة بحث عن عقولهم واعتقادهم وتخرجهم يصدقونني عن امرهم ولا يكذبون في شي مما كنت اسايلهم عنه واجادلهم فيه وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذى قد عرفته من ظاهرهم فكتبت اليك اصلحك الله بهذا الشرح وعَدَدْتُ ما عَدَدْتُه بعد الاستقصآء والبحث الشديد والامتحان له على طول الايام لئلا يظن بي اني غبي بالامور وليعلم من وقع اليه كتابي هذا اني عارف بجميع احوال النصارى حق المعرفة . فانا الان مَتّع الله بك ادعوك

بهذه المعرفة كلها مني بدينك الذي انت عليه وبطول المحبة الى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي ضامنا لك به الجنة ضماناً صحيحًا والامن من النار. وهو ان تعبد الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوًا احد وهي الصفة التي وصف نفسه جل وعز بها اذ كان ليس احد من خلقه اعلم به من نفسه . فدعونك الى عبادة هذا الاله الواحد الذي هذه صفته ولم ازد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه جل اسمه وتعالى ذكراً علواً كبيراً عما يشركون . فهذه ملة ابيك وابينا ابراهيم صلوات الله عليه فانه كان حنيفاً مسلمًا . ثم ادعوك حفظك الله الى الشهادة والاقرار بنبوة سيدي وسيد ولد ادم وصفي رب العالمين وخاتم الانبياء محمد بن عبد الله الهاشمي القريشي العربي الابطحي التهامي صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة حبيب رب العزة ومكلم جبرائيل الروح الامين الذي ارسله الله بشيرا ونذيرا الى الناس كافة " بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (توبة ٣٣) . فدعا الناس كلهم اجمعين اهل الشرق والغرب واهل البر و البحر والجبل والسهل بالرحمة والرأفة وطيب القول وحسن الخلق واللين فاستجاب هذا الخلق كلهم الى دعوته بالشهادة له انه رسول الله رب العالمين الى من يريد انتصاحا واقر الانام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة امره وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح وهو هذا الكتاب المنزل عليه من عند الله والذي لا يقدر احد من الانس والجن ان يأتي بمثله

وكفى به دليلا على دعوته وانه دعا الى عبادة اله واحد فرد صمد فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مكرهين ولا مجبرين بل خاضعين معترفين مستنيرين لنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وانكر رسالته ورد امره مقاوما ومتعاليا ممكن الله لهم في البلاد واذل لهم رقاب الامم من العباد الاّ مَنْ قال بقولهم وتديّن بدينهم وشهد على شهادتهم فحقن بذلك دمه وماله وحرمته ان يؤدّي الجزية عن يد وهو صاغر. وهذه الشهادة امتع الله بك هي الشهادة التي شهد الله بها قبل ان يخلق الخلائق اذ كان على العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله . وادعوك الى الصلوات الخمس التي من صلاها لم يخب ولم يخسر بل يربح ويكون في الدنيا والاخرة من الفائزين وهي الفرض فيها فرضان فرض من الله وفرض من رسوله مثل الوتر وهي ثلاث ركعات بعد العشآء الاخيرة وركعتان في الفجر وركعتان بعد الظهر وركعتان بعد المغرب فمَنْ ترك شيأً من هذه فليس بجائز له ويجب على مَنْ تركها اياما الادب ويستتاب منه فاما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل ركعتان الفجر واربع ركعات الظهر واربع ركعات العصر وثلاث ركعات المغرب وهي العشآء الاولى واربع ركعات العشآء الآخرة وهي العتمة وقد نهى رسول الله ان يقال العتمة وقال هي عتمة عتمة الليل وانما سميت عتمة لتاخرها في العشآء وابطائها . وادعوك الى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديان ونزل فيه الفرقان شهر يشهد الله ان فيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح الى ان

يسقط قرص الشمس ويدخل حد الليل ثم تاكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبين لك الخيط الاسود من الخيط الابيض حلالا مطلقا هنيئا طيبا من الله فان انت لحقت ليلة القدر باخلاص نيتك كنت قد فزت في دنياك وآخرتك قال الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياماً معدودات فمَنْ كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولِتُكْمِلوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها " (بقرة ١٧٩ — ١٨٣) . وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقدم الفطور ويؤخر السحور . ثم ادعوك الى الحج الى بيت الله الحرام الذي بمكة والنظر الى حرم رسول الله والى اثاره ومواضعه

ورمي الجمار والتلبية والاحرام وتقبيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة . ثم ادعوك الى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضربا بالسيف وسبيا وسلبا حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا ان الله لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وادعوك الى الاقرار بان الله يبعث من القبور وانه ديانهم بالعدل فيكافي المحسن بالحسنى ويجزي المسيء باساءته وانه يدخل اولياءه واهل طاعته الذين اقروا بوحدانيته وشهدوا بان محمدا عبده ورسوله وآمنوا بما انزل عليه من القرآن الجنة التي اعد لهم فيها الطيبات " يُحَلَّوْنَ فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير" (الحج ٢٣) " وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لَغفورٌ شكور الذي أحلَّنا دار المقامة من فضله لا يَمَسُّنا فيها نصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لُغوب " (ملائكة ٣٢) " اولائك لهم رزقٌ معلوم فَوَاكِهُ وَهُم مُكْرَمُونَ في جَنَّات النعيم على سُرُرٍ متقابلين يطاف عليهم بكاس من مَعين بيضاءَ لَذَّةٍ للشاربين لا فيها غَولٌ ولا هم عنها يُنزَفون وعندهم قاصرات الطرف عِينٌ كأنَّهنَّ بَيضٌ مكنون " (صافات ٤٠—٤٧) . " إنَّ الذين اتَّقوا ربَّهم لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنيَّةٌ تجري من تحتها الانهار وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الميعاد " (زمر ٢١) . " يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أُدخُلوا الجنَّةَ انتم وازواجكم تُحبَرون يطاف عليهم بصِحافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفُسُ وتَلَذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون "

(زخرف ٦٨—٧١) . " ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يَلْبَسون من سُنْدُس واستَبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحورٍ عِيْنٍ يدّعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموتَ إلاَّ الموتة الاولى ووقاهم عذابَ الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم " (دخان ٥١—٥٧) وقال عزَّ وجلَّ " مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها انهار من ماءٍ غير آسنٍ وانهار من لبنٍ لم يتغيَّر طعمُهُ وانهار من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربين وانهار من عسلٍ مصفًّى ولهم فيها من كل الثمرات ومَغْفِرَةٌ من ربهم كَمَنْ هُوَ خالدٌ في النار وَسُقُوا ماءً حميمًا فَقَطَّعَ أمعاءَهُمْ " (محمد ١٦—١٧) . وقال عزَّ وجلَّ " وان للمتقين لحُسْنَ مَآبٍ جنات عدنٍ مفتَّحةً لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ وعندهم قاصراتُ الطَّرْفِ اترابٌ هذا ما تُوعَدُونَ ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد " (ص ٤٩—٥٤) . وقال عز وجل في وصف الجنة " ولِمَنْ خاف مقامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فبايِّ آلاَءِ ربكما تكذبان ذَوَاتَا أفْنَان فبايِّ آلاءِ ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبايِّ آلاءِ ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاءِ ربكما تكذبان مُتَّكِئِين علي فُرُشٍ بطائنها من إستبرقٍ وجنى الجنتين دان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهنَّ قاصراتُ الطَّرْف لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ فبايِّ آلاءِ ربكما تكذبان كأنَّهنَّ الياقُوتُ والمَرْجَانُ فبايِّ آلاءِ ربكما تكذبان هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلاَّ الإحْسَانُ فبايِّ آلاءِ رَبكما تكذبان ومن دونهما جَنَّتان فباي آلاءِ ربكما تكذبان مُدْهَامَّتان فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهما عينان نضَّاختان فباي آلاءِ

ربكما تكذبان فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمّانٌ فباي آلآء ربكما تكذبان فيهن خيراتٌ حسانٌ فباي آلآء ربكما تكذبان حورٌ مقصوراتٌ في الخيام فباي آلآء ربكما تكذبان لم يَطمِثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ فباي آلآء ربكما تكذبان متكئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حسانٍ فباي آلآء ربكما تكذبان تبارك اسم رَبِّكَ ذي الجلال والاكرام" (الرحمن ٣٩—٥٧) . وقال عزّ وَجلّ " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زُمَرًا حتى اذا جاوها وفُتحت أبوابُها وقال لهم خَزَنَتُها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " (زمر ٧٣) . وقال عزّ وجلّ " وَلَقّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريراً متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ودَانِيَةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذليلاً ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ واكوابٍ كانت قَوارِيرَ قواريرَ من فضةٍ قدّروها تقديراً ويُسقَونَ فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلا عينًا فيها تسمى سلسبيلاً" (الانسان ١١—١٨) وقال عزّ وجلّ " ان للمتقين مَفازًا حدائق واعنابا وكَوَاعبَ أترابًا وكأسًا دِهَاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً جَزآءً من ربك عَطآءً حِسَاباً " (النبا ٣١—٣٦) وقال تبارك وتعالى " ان المتقين في جناتٍ ونعيمٍ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هَنيئًا بما كنتم تعملون متكئين على سُرُرٍ مصفوفة وزوجناهم بحورٍ عِينٍ والذين آمنوا واتّبعتهم ذُرّيّتُهُم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألَتْنَاهُم من عَمَلِهم من شيء كل امرءٍ بما كَسَبَ رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسًا لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ ويطوف عليهم غِلمانٌ لهم

مَرجِعَهم لَإِلَى الجحيم " (صافات ٦٠ــ٦٦) . ثم " فويل للذين كفروا من النار . . . . وان للطاغين لَشَرَّ مَآبٍ جَهنّمَ يصلونها فبئسَ المهاد هذا فَلْيَذُوقُوهُ حميمٌ وَغَسَّاقٌ (ص ٢٦ و ٥٥ــ٥٦) وقال "لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظُلَلٌ " (الزمر ١٨) وقال " يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهم مُسْودَّةٌ أَلَيْسَ في جَهنّمَ مَثْوًى للمتكبّرين والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون " (الزمر ٦١ و ٦٣) . وقال " وسيق الذين كفروا الى جَهنّمَ زُمرًا حتى اذا جآوها فُتِحَتْ ابوابها وقال لهم خَزَنَتُهَا الم يأتكم رُسُلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لِقاءَ يومِكم هذا قالوا بَلَى ولكن حَقّتْ كَلِمَةُ العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوي المتكبرين " (الزمر ٧١ و ٧٣) " وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العَذَاب قالوا أَوَلَمْ تَكُ تأتيكم رُسُلُكُم بالبينات قالوا بَلَى قالوا فَادْعُوا وما دُعآءُ الكافرين الاّ في ضلال " (المومن ٥٣ــ٥٣) . وقال " الم تَرَ الى الذين يجادلون في ايات الله أَنّى يُصْرَفونَ الذين كَذَّبُوا بالكتاب وبما أَرْسَلْنَا به رُسُلَنَا فَسَوْفَ يعلمونَ اذ الأغلالُ في أعناقهم والسَّلاسلُ يُسْحَبُونَ في الحميم ثم في النار يسجرون " (المومن ٧١ــ٧٣) . وقال " الكافرون لهم عذابٌ شديد . . . . وَترَى الظّالمينَ لَمّا رَأَوُا العذابَ يقولون هَلْ الى مَرَدٍّ من سبيل وَتراهم يُعْرَضُونَ عليها خاشعين من الذل ينظرون من طَرْفٍ خَفِيٍّ " (شورى ٤٢ــ٤٥) . وقال تبارك وتعالى " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسُون

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مَالكُ لِيَقْضِ علينا رَبّكَ قال انكم ماكثون " (زخرف ٧٤——٧٧) . وقال " ان شجرة الزقّوم طعام الاثيم كالمُهْل يَغْلي في البُطُون كَغَلْيِ الحميم خذوه فَاعْتِلوهُ الى سَوَاء الجحيم ثم صُبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذُقْ انّكَ انتَ العزيزُ الكريمُ إنّ هَذا ما كنتم به تَمْتَرونَ " (دخان ٤٣——٥٠) . وقال عزّ وجلّ " كَمَنْ هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً فَقَطّعَ امعاءهم . . . . . ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما نَزّلَ الله سَنُطيعكُم في بَعْض الأمر والله يَعلَم إسْرَارَهُم فكيفَ إذا تَوفّتهمُ الملائكة يضربون وُجُوهَهُم وَادْبَارَهُم ذلك بانهم اتّبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم " (محمد ١٧——٣١) . وقال " ويل يومئذ للمكذّبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماءً فُراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذّبون انطلقوا الى ظِلّ ذي ثلث شُعَبٍ لا ظليل ولا يُغْني من اللهب انها ترمي بشَرَرٍ كالقَصْر كانه جِمالَةٌ صُفْرٌ ويل يومئذ للمكذّبين هذا يومُ لا يَنْطِقُون ولا يُؤْذَنَ لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين " (مرسلات ٢٤——٣٧) .

فهل سَمِعْتَ عافاك الله يا هذا بوصف احسن واعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتعريض ووعد ووعيد لكل جبّار عنيد ولكل مصدّق ومكذّب ولكل مومن وكافر ولكل مقرّ وجاحد فلو لم

ترغب الاّ في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم ولو لم ترهب الاّ من ذكر النار واهوال جهنم لكان في تركك ذلك لخطب الجليل وعليك فيه لخسران المبين . قال الله تبارك وتعالى ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المومنين فاما نحن فقد ذكّرناك فان انتَ آمنتَ وقبلتَ ما يُتْلا عليك من كتاب الله المنزل انتفعتَ بما ذكّرناك وكتبنا به اليك وان ابيتَ الّا المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق كنا نحن قد أجرنا اذ عملنا بما أُمرنا به وكان لحق هو المنتصف منك ان شآء الله . فهذه انار الله قلبك هيئة ديننا القيم وهذه شرائعه واعلامه وسُنَنُه فاذا انت دخلتَ فيه واقررتَ به وشهدتَ على شهادته واحببتَ الدخول في ما دعوناك اليه من شرائعنا النيرة واعلامنا الواضحة وسُنَنِنا الحسنة كنتَ مثلنا وكنا مثلك فحسبك بنا شرفا في الدنيا والآخرة وان نبينا عليه السلام يقول يوم القيامة كل احد مشغول بنفسه من مَلَك مقرّب ونبي مرسل سواه وهو يقول اهل بيتي امتي امتي فيجاب اولا في اهل بيته ثم في امته ويقول الرحمٰن للملآئكة اني استحيي ان ارد شفاعة صفيي وحبيبي محمد . ثم تكون ممن يجب لك ما يجب وتصلي الى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا وتقيم الصلوات الخمس بعد اسباغ الوضوء اذا كنتَ صحيحا وقائما على رجليك واذا كنتَ مريضا او ضعيفا فجالس فان كنتَ على سفر فنصف ما تصليه وانت بالحضر . قال الله عز وجل " اقيموا الصلوة واتوا الذكوة " واما الزكاة فهي ربع العشر اذا اتى على المال وهو في ملك صاحبه حول كامل فتصرف ذلك على المساكين من ملتك والفقرآء من اهل بيتك . وتنكح من النسآء

ما احببت لا جناح عليك في ذلك ولا لوم ولا اثم ولا عيب اذا انت تزوجتها بوليّ وشاهدين واتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسر ولك ان تجمع بين اربع نسآءٍ وتطلق مَنْ شئتَ اذا كرهتَها او مللتَها او شبعتَ منها ولك ان تراجع بعد الاستحلال مَنْ احببتَ منهن ايتهن تبعتها نفسُك . قال الله تعالى عز وجل " فان طلّقها لا جُناحَ عليهما انْ يتراجعا " و تتمتع من الآمآء بما ملكت يداك . وتختتن لتقيم سنة ابراهيم ابينا خليل الرحمٰن وسنة اسماعيل ابينا وابيك صلوات الله عليهما وتغتسل من الجنابة ثم ان قدرتَ تصوم شهر رمضان والا ان افطرت من علة او مرض او سفر بعد أن تنوي قضآء ذلك فان الله يريد لعباده اليسر ولا يريد لهم العسر . وان حنثتَ في قَسَمِك عملتَ بما امر الله به في ذلك اذ يقول تبارك وتعالى " لا يواخذكم الله باللّغْوِ في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبَتْ قلوبكم والله غفور حليم " (بقرة ٢٢٥) . وكفارة الحنث عندنا معاشر المسلمين قوله تعالى " اطعام عشرة مساكين من اوْسط ما تُطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين لكم الله آياته لعلكم تشكرون " (مائدة ٩١ و ٩٢) . والحج واجب عليك لانه جل جلاله يقول " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " (آل عمران ٩١) وذلك اذا لم يكن عليك دين وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد . والغزو في سبيل الله قمَعَةُ الغنيمة في الدنيا عاجلا والاجر العظيم في الآخرة آجلاً . فقد سهل الله وله

للحمد على المؤمنين وان الله تبارك وتعالى ليحب ان يوخذ بعزائمه وتشديداته . ولو لم يكن في دين الاسلام شيء الاّ الطمانينة والامن وتسليم القلب لله والراحة والثقة بما ضمن الله لنا عن نفسه انه هو يثيبنا على ذلك في الآخرة الاجر العظيم ويدخلنا جنات النعيم فنكون فيها خالدين وينصرنا فيها على القوم الظالمين لكان في دون هذا لنا الفوز العظيم . فقد تلوتُ عليك من قول الله تبارك وتعالى وهو قول الحق لا خلف لوعده ولا تكذيب لقوله فيما سلف من كتابي هذا ما في اقله كفاية مَدْعٌ ما انت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره وهو قولكم بالاب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع ما في ارتيابك عنه واجل فيه عملك وشرف حسبك عن خساسته فاني وجدتُ الله تبارك وتعالى يقول " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء " (نسآء ٥١) . وقال جل ذكره " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يُشْرِكْ بالله فقد حَرَّمَ الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اِلَهٍ الا اِلَهٌ واحد وان لم ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأُمُّهُ صديقةٌ كانا ياكلان الطعام انظر كيف نُبَيِّنُ لهم الآيات ثم انظر أنّى يوفكون " (مائدة ٧٢—٧٩) .

فَدَعْ ما انتَ فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة وجهد ذلك الصوم الآزم الصعب والشقاء الدائم والبلاء الطويل الذي انتَ منغمس فيه الذي لا ينفع ولا يجدي عليك الّا اتعابك بدنك وتعذيبك نفسك وافضل داخلا في هذا الدين القيم السهل المنهج الصحيح الاعتقاد الحسن الشرائع الواسع السبيل الذي ارتضاه الله لاوليائه من عباده ودعا جميع خلقه اليه من بين الاديان كلها تفضّلا منه عليهم به واحسانا اليهم بهدايته اياهم لِيُتِمَّ بذلك نعماه عندهم . فقد نصحت لك يا هذا وأدَّيْتُ اليك حق المودة وخالص المحبة اذ احببتُ ان اخلطك بنفسي وان اكون انا وانت على راي واحد وديانة واحدة . فاني وجدت ربي يقول في محكم كتابه " إنَّ الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولائك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولائك هم خير البرية جزآؤهم عند ربهم جَنّاتُ عدنٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربَّهُ " (بينة ٦ و ٧) . وقال الله في محكم كتابه في موضع آخر " انتم خير أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف" (آل عمران ١٠٢) . واشفقتُ عليك ابقاك الله ان تكون من اهل النار الذين هم شر البرية ورجوتُ ان تكون بتوفيق الله اياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية ورجوتُ ان تكون من هذه الامة التي هي خير امة أُخرِجَتْ للناس فان ابيتَ إلاَّ الظاظا ولجاجا وجهلا وتماديا في كفرك وطغيانك الذي انتَ فيه وَرَدَدْتَّ علينا قولنا ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا حيث لم

نَرِدْ منك على ذلك جزآءً ولا شكرا فاكتب بما عندك من امر دينك والذي صح في يدك منه وما قامت به الحجة عندك آمنا مطمئنًا غير مُقصّر في حجتك ولا مكاتم لما انتَ معتقده ولا فَرِقٍ ولا وَجِل فليس عندي الّا الاستماع للحجة منك والصبر والاذعان والاقرار بما يلزمني منه طائعا غير منكر ولا جاحد ولا هائب حتى نقيس ما تاتينا به وتتلوه علينا ونجمعه الى ما في ايدينا ثم نخيّرك بعد ذلك على ان تشرح لنا عليه وتدع الاعتلال علينا بقولك ان الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة واحتجمتَ ان تنقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة فقد اطلقناك وحجبنك لئلا تنسبنا الى الكبرياء وتدّعي علينا الجور والحيف فان ذلك غير شبيه بنا . فاحتج عافاك الله بما شئت وقل كيف شئت وتكلم بما احببت وانبسط في كلما تظن انه يؤدّيك الى وثيق حجتك فانك في اوسع الامان ولنا عليك اصلحك الله اذ قد اطلقناك هذا الاطلاق وبسطنا لسانك هذا البسط ان تجعل بيننا وبينك حكما عادلًا لا يجور ولايحيف في حكمه وقضائه ولا يميل الى غير الحق اذا ما تجنب دولة الهوآء وهو العقل الذي ياخذ به الله عزّ وجلّ ويعطي فانا قد انصفناك في القول واوسعناك في الامان ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا اذ كان لا اكراه في الدين وما دعوناك الّا طوعا وترغيبا فيما عندنا وعرفناك شناعة ما انت عليه . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فاجابه النصراني

بِسْمِ اللّٰه الرَّحمن الرَّحيم
رَبِّ يَسِّرْ ولا تُعَسِّرْ رَبِّ تَمِّمْ بالخير.

الى فلان بن فلان من فلان بن فلان اصغر عبيد المسيح سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع اهْل العالم عامة بجوده وكرمه امين.

امـــا بعد فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي امير المؤمنين ودعوتُ الله الذي لا يُخَيِّبُ داعيه اذا دعاه بنية صادقة ان يطيل بقآء سيدنا امير المؤمنين في اسبغ النعم وادوم الكرامة واشمل العافية بمنه ورحمته وشكرتُ اكرمك الله ما ظهر لي من فضلك بالعناية وما كشفتَه من لطيف محبتك وخصصتَني به من المودة فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديمًا وقد زاده تاكيداً ما تبين لي من شفقتك مستأنفًا وشكري يُقَصِّرُ عمَّا فعلتَه ولم تَتَعَدَّ ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك وانا ارغب الى الله جل اسمه الذي بيده الخير كله ان يتولى مكافاتك عني بما هو واسع له فانه لا يعجز عن شيءٍ ويحسن جزاءك عن نيتك فقد لعمري افرغتَ مجهودك والنصيحة عند نفسك ولم تُبْقِ غايةً ووجب شكرك عليَّ اذ كنتَ لم تأت بما

اتيت به الّا على الاخلاص من المودة وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة والالفة وفهمتُ افهمك الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد ما اقتصصتهٌ في كتابك وتعمقتَ فيه من الدعوة وشرحته من امر ديانتك هذه التي انتَ عليها وما دعوتني الى الدخول اليه ورغبتني فيه منها وقد علمتُ اصلحك الله علماً حقيقياً ان الذي دعاك الى ذلك ما يوجبه لنا تفضّلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك امير المؤمنين فينا فهذا اكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على ذلك الا الله تبارك وتعالى فانا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين اليه ان يشكرك عنا مانه اهل لذلك والقادر عليه . فامّا ما دعوتني اليه من امر دينك الذي تنتحله ومقالتك التي تعتقدها وهي الحنيفية وانك على ملة ابينا ابراهيم وما قلتَ فيه انه كان حنيفاً مسلماً فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في انجيله المقدس حيث يقول " اذا قُدِّمتمْ الى القضاة والحكّام فلا تهتمّوا بما تقولون ولا بما تجيبون فانكم ستُعْطَوْنَ في ذلك الوقت وتُلَقّنُونَ ما تتكلّمون وتدفعون عن انفسكم به من الجواب والحجّة " . فانا واثق بما وعدني به سيدي المسيح في انجيله المقدس من انجازه وعده لي وادخل معك المعركة مستغيثاً بالله متكلا عليه اذ كنتُ انا العاجز عن كل شيء لا اتأخّر عن دعوته المنيرة وعن دينه الافضل وافتتح كلامي بما يُلَقِّنني به من صلاح القول ويلهمني من وثيق الحجة كعادته عند اوليائه وارجو منه الظفر. فاقول مجيباً لك قد علمتَ ابقاك الله اذ

زعمت انك قرأتَ كتب الله المنزلة ونظرتَ في ديوان اسراره المقدسة التي هي الكتب العتيقة والحديثة ان التورية التي انزلها الله تعالى على موسى النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبره اسراره مكتوب في السفر الاول من اسفارها الخمسة وهو المعروف بسفر الخليقة أنّ ابراهيم كان نازلاً مع آبائه بحرّان وانها كانت مسكناً لهم وان الله تبارك وتعالى تجلّى عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسب له ذلك براً فقد علما يرحمك الله ان ابراهيم انما كان نازلاً بحرّان مع آبائه تسعين سنة لم يعبد الا الصنم المسمى العزى وهو المعروف بحرّان المتخذ على اسم القمر لان اهل حران انما كانوا يعبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم الى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئاً غير القرابين التي يتخذونها من الناس فان ذبح الناس لا يتهيّأ لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً فكان ابراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه واجداده واهل بلده كما اقررت انت ايها الحنيف وشهدتَ بذلك عليه الى ان "تجلّى الله عليه فلما آمَنَ به وصدق موعده فَحُسب لهُ ذلك براً" (تكوين ١٥) زال عن الحنيفية التي هي عبادة الاصنام وصار مُوَحِّداً مؤمناً لاننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسما لعبادة الاصنام فورث ذلك التوحيد اسحق الذي هو ابن الموعد وهو الذي قربه لله ففداه الله بالكبش من الشجرة لانه هكذا امره الله وقال "اَعْمدْ الى ابنك ووحيدك الذي تُحِبُّهُ وهو اسحق فأمضِ به حتى تُقَرِّبَهُ لي قرباناً في الموضع الذي أُرِيكَهُ" . ومن نسل اسحق من سارة الحرة خرج المسيح مخلص العالم . فلهذه الاسباب وغيرها وَرِثَهُ ابراهيم ابوه التوحيد ثم

ورَّثهُ اسحق يعقوبَ ابنَهُ الذي سماه الله اسرائيل ثم ورثهُ يعقوبُ الاثنى عشر سبطاً فلم يزل ذلك التراث في بني اسرائيل حتى دخلوا ارض مصر ايام الفراعنة بسبب يوسف ثم لم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف قرناً بعد قرن حتى اضمحلَّ كاضمحلاله الذي كان في عصر نوح اذ كان التوحيد اول من عرفه ابونا آدم ثم ورَّثهُ شيث ثم شيث ورَّثهُ انوش ابنه فكان انوش اول من اعلن ذكر التوحيد ودعا اليه ثم ورثهُ نوحُ ولدَهُ وولدَ ولده ثم اضمحلَّ الى زمن ابراهيم فتجدد ذلك التراث لابراهيم فلم يزل يتجدَّد الى ان ولد يعقوب الذي هو اسرائيل الله ثم اضمحل حتى تجدد عندما بعث الله موسى فان الله تجلَّى عليه بالنار في العوسجة وقال له في مناجاته اياه ومخاطبته له " انك ترسلني الى قوم غُلْف القلوب انْ هُمْ سالوني وقالوا ما اسم الذي وجَّهكَ اليها وبماذا وجَّهك حتى نُصَدِّقكَ فماذا اقول لهم فقال الله مجيباً هكذا تقول لبني اسرائيل الذين انا مُرسِلُكَ اليهم وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلتَ اليه " اَهْيَهْ اَشَرْ اَهْيَهْ ارسلني اليكم " . وتفسيره ذلك الازليُّ الذي لم يزل اِلهُ آبائكم اِلهُ ابراهيم والهُ اسحق والهُ يعقوب ارسلني اليكم ." فجَدَّدَ في هذا الموضع في الظاهر ذكر التوحيد واَلغز عن سر التالوث حيث قال الهُ ابراهيم وَالهُ اسحق وَالهُ يعقوب فكرَّر بذلك القول ذكر الثلثة الاقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديما فهو وَاحِدٌ ذو ثلثة اقانيم لا محالة لانه اَجْمَلَ في قوله اِلهُ ابائكم ثم قال مكرِّراً اسم الجلالة ثلث مرات اَتقولُ انها ثلثة آلهةٍ ام اله واحد مُكرَّراً ثلث مرات فان قلنا انها ثلثة الهة اشركنا وجئنا باشنع القول وامحله وان

قلنا اله واحد مكرراً ثلث مرات فنكون قد نخعنا الكتاب حقه لانه قد كان يمكنه ان يقول اله ابائكم ابراهيم واسحق ويعقوب وانما كرر دلك للاشارة بان في هذا الموضع سراً وهو ان الله واحد ذو ثلثة اقانيم مُثَلَّثَةً اقانيم إلَهٌ وَاحِدُ وإلَهٌ وَاحِدٌ ثَلَثَةٌ اقانيم فايُّ دليل اوضح واي نور اضوى من هذا إلاَّ لمن عاند الحق واراد ان يغش نفسه ويعمي عين تمييزه وَيُصِمَّ سَمْعَ عقله عن استماع سر الله الذي اودعه في كتبه التي انزلها على انبيائه وهي اكرمك الله في ايادي اصحاب التورية الى هذه الغاية لم يكونوا يفهمونه حتى جآء صاحب السر الذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وافهمناه فقد علمنا الان ان ابراهيم كان منذ ولد الى ان اتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم ثم آمن بالله الى ان قبض فانت اصلحك الله تدعوني الى دين ابراهيم وملته فليت شعري الى ايّ مذهبيه ودينيه تدعوني وفي اي حالتيه ترغبني احيث كان حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالعزى مع آبآئه واهل بيته وهو بحرَّان ام حيث خرج عن الحنيفية وَوَحَّدَ الله وعبده وآمن به وانتهى الى امره عندما امره ان ينتقل عن بلده فانتقل طائعاً عن حرَّان دار الكفرة ومدينة اهل الضلالة فلا اظنك تستجيز في عقلك وحسن تمييزك وجودة معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك اياها ان تدعوني الى مثل حال ابراهيم في كفره وضلاله من عبادة الاصنام التي هي الحنيفية وان كنتَ تدعوني الى حاله وقت ايمانه رما حسب له من البر وقت توحيده فاليهوديُّ ابن ابراهيم اولى بهذه الدعوة منك لانه هو صاحب تراث اسحق الذي ورث هذا التوحيد عن ابراهيم ابيه وهو اولى منك

واحق بهذا الامر فما لك والظلم والحيف والجَنَف وطلب ما لم يجعله الله لك حقًّا فانتَ دائما تنسب ذلك الى العدل وتصفها بهذه الصفة وصاحبك يقرُّ في كتابه ويقول طائعاً انه قيل له " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" (الانعام ١٤) افلا ترى انه اول من اظهر الاسلام وان قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين لان صاحبك قد اقرَّ بانه هو اول من اسلم وفي هذا الجواب لهذا الباب كفاية وامر مقنع لذوي الالباب . فان ابيت اصلحك الله إلاَّ الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود فانت تعلم ما يجب لنا عليك في الحكم اذا نحن طالبناك باقرار اليهودي بتوكيله اياك فان ثبتت وكالتك له فبتمهّلنا عليك ومسامحتنا لك في هذا الموضع ان ناخذ منك اقرارك انك قد اقمت نفسك ونصبتها منصب الخصم عن اليهود وانا لا ارى لشرفك وحسبك ان احلك هذا المحل واقيمك هذا المقام وان كنت انت احللته نفسك واني اسالك عن هذا الواحد الذي دعوتنا الى الاقرار بوحدانيته كيف تُفْهِمُنَا انه واحد وعلى كم نحو يقال للواحد واحداً ماذا انبأتنا بذلك علما انك صادق فيما ادعيت من عبادة هذا الواحد وان أُلفيتَ غير عالم به فاين تَبَصُّرُكَ ألاَ تعلم ان الواحد لا يقال واحداً إلاَّ على ثلثة اوجهٍ إمَّا في الجنس وإمَّا في النوع وإمَّا في العدد ولستُ ارى احداً يدعي غير هذا او يقدر ان يجد غير هذه الاوجه الثلثة ان كان ذا لب وادراك لما يقول وانما اناجيك بهذه المناجاة واخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأي الراسخ في العلم الداخل في الامور بدراية وفهم لانك ايدك الله لستَ عندي من

للجهال الذين اذا اوردت عليهم مسالة غامضة تَلْطُفُ عن غلظ طباعهم وَجَفَاءَ اذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لقلة علمهم فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله . نعم سبحانَ الله ابداً حتى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة . فعلى ايّ وجه تصف الله جَلَّ وَعَزَّ واحداً من هذه الوجوه التي ذكرنها لك افي الجنس ام في النوع أم في العدد فان قلت انه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لانواع شتى لان حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم انواعاً كثيرة مختلفة وذلك مما لا يجوز في الله تعالى وان قلت انه واحد في النوع صار ذلك نوعا عاماً لاقانيم شتى لان حكم النوع يضم اقانيم كثيرة في العدد وان قلت انه واحد في العدد كان ذلك نقضاً لكلامك انه واحد فرد صمد لاني لا اشك في انه لو سالك سائل عن نفسك فقال لك كم انت لا تقدر ان تجيبه بانك واحد فرد فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التى لا تُفَضِّلُ الهك عن سائر خلقه وليتك مع وصفك اياه بالعدد كنتَ وصفتَهُ ايضا بالتبعيض والنقصان اتراك لا تعلم انت الرجل الذى فَتَّشْتَ الكتب وقراتها وناظرتَ اهل الملل المختلفة وفهمتَ اعتقاداتهم ان الواحد الفرد بعض العدد لان كمال العدد ما عَمَّ جميع انواع العدد فالواحد بعض العدد وهذا نقض لكلامك فان قلتَ انه واحد في النوع فللنوع ذواتٌ شتى لا واحد فرد وان قلتَ واحد في الجوهر وجب ان نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد او انما تعني واحدا في النوع واحدا في العدد لانه عام فان قلتَ قد تخالف

هذه تلك قلنا لك حد الواحد في النوع عند اهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق اسم يَعُمُّ امراداً شتى وواحد الواحد ما لا يَعُمُّ غير نفسه آمُقِرٌّ انتَ ان الله واحد في الجوهر يعم اشخاصاً شتى او انما تصفه شخصا واحدا وان كان معنى قولك بانه واحد في النوع واحد في العدد مانك لم تعرِف الواحد في النوع ما هو وكيف هو ورجعت الى كلامك الاول انه واحد في العدد وهذه صفة المخلوقين كما قدَّمنا آنفا وان قلتَ هل تقدر انت انْ تصف الله واحداً في العدد اذا كان كزعمك الواحد في العدد بعضا وليس بكامل قلنا لك اننا نصفه واحدا كاملا في الجوهر مثلنا في العدد اي في الاقانيم الثلثة مقد كملَتْ صفته من الوجهين جميعا اما وصفنا اياه واحدا في الجوهر ملاعتلائه جَلَّ وَعَزَّ عن جميع خلقه وبريته محسوسة كانت او غير محسوسة لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف وروحاني غير جسماني اب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب واما في العدد فلانه عام لجميع انواع العدد لان العدد لا يَعدُّ وان تكن انواعه نوعين زوجا وفردا فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلثة فبايِّ الانحاء وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئا كما يليق به ذلك لنعلم ان وصفنا الله واحدا ليس على ما وصفته انت اكرمك الله وارجو ان يكون هذا الجواب مقنعا لك وللناظر في كتابنا هذا اذا نظر بعين الانصاف ان شاء الله . واعلم اصلحك الله انه كان يمكننا ان نعقد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع لكننا احببنا ان يكون كلامنا سهلا

يفهمه كل من قراه واستملا منه وكي لا تستثقله الاسماع وينفر منه الذهن وينبغي لك أصلحك الله ان تعلم ان مناضلتنا في هذا الامر كمناضلة الاخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن ابيهم فكل فيها مشترك ليس بعضهم فيها دون بعض فانت ونحن في الكلام سوآء فما جآء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب للحق فينبغي لك ان تعترف به ولا تنكره فانا لاندع الاستقصآء وبلوغ الغاية القصوى في الذبّ عن حقنا ودحض حجة من اراد ابطال حجتنا وامرنا وحاول ظلمنا . واما قولك انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا و لم يكن له كفوًا احد فان انت ابقاك الله انصفتنا والانصاف اشبه بك واولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول والزمتنا قانون للحق اقررتَ لي بهذا ان الذي الزمه ان له خليلا وله حبيبا وله صفيا هو الذى شنّع عليه والزمه ان له صاحبة وانه اتخذ ولدا وكان له اكفآء واما نحن أصلحك الله فلا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا انه اتخذ ولدا ولا انه كان له كفوًا احد ولا نصف الله جل وعز بمثل هذه الرذآئل والخسآئس من صفات التشبيه وانما هذه شبهات لكم من قبل اليهود حيث ارادوا كيدكم بذلك فلفّقوا هذه القصص التي يقصونها على ظهر الطريق وفي الشوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام وإلّا فانت تعلم اذ كنت ذا علم بالكتب ان ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكرًا فتقبله عقولنا او نتكلم به وانما هو كتابك الذي اكثر التشنيع علينا وادعى على المسيح سيدنا ومحيي البشر الدعاوي التي لم يقلها قط مما اكثره

تطويل كتابي به وتعريف القصة في تناقضه والاخبار بلسانه وكيف كان ذلك من حيلة وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المعروف بالاحبار اولاد اليهود وكيدهم ونحتهم وكيف احتالوا في ادخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم وان فحصتَ عن ذلك في كتابك عرفتَ حقيقته . فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول ابداً ان الله تبارك وتعالى اتخذ صاحبة وولد وَلَداً وليس قولنا ان لله ابناً وهو الكلمة الخالقة قول مَنْ قال انه اتخذ ولدًا وانتَ حرسك الله تعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وروحه ونحن نقول ان الله الازلي بكلمته لم يزل حليما رؤوفا وانما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرافة والملك والعز والسلطان والجبروت والتدبير وما اشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من افعاله وقد اخبرتْ عنها عقول الناس واشتقوها له اشتقاقا لاجل فعله اياها فاستوجبها جل وعز بالكمال والحقيقة كما استوجب جميع ما سمي به من اجل فعله له فاما صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح ازليّ لم يزل متعاليا مرتفعا عن جميع النعوت والاوصاف . ولننظر الان في هذه الصفات من حيّ وعالم اهي اسمآء مفردة مرسلة ام اسمآء مضافة تدل على اضافة شيءٍ الي شيءٍ ويجب علينا ان نعلم ما الاسمآء المضافة وما الاسمآء المفردة المرسلة فاما الاسمآء المرسلة فهي كقول القائل ارض او سمآء او نار او مآء اوكل ما كان بما قيل شبيها مما لا يضاف الى غيره واما الاسمآء المضافة الى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم وما اشبه ذلك فالعالم عالم بعلمه والعلم علم عالم والحكمة حكمة حكيم

وهذا القول نظير لما وصفنا ونقتصر عليه لئلا يخرج بنا اتساع الكلام الى الكثرة . فاذ قد بَيَّنَّا ما الاسمآء المفردة وما الاسمآء المضافة المنسوبة الى غيرها وجب ان نسالك عن الموصوف بهذه الصفة الآزِمَةُ هي لجوهره في ازليته ام اكتسبها له اكتساباً واستوجب الوصف بها من بعدُ كما استوجب ان يوصف انَّ له خليقةً حيث خلق وسائر ذلك مع ما لم اذكر من اسمآءٍ يسمى بها صِفاتٌ يُحَقُّ بها لِفِعِلْه اياها . فاذا قيل كما يوصف تعالى انه كان ولاخلق حتى اتى على ذلك بالفعل كذلك يجوز ان يقال انه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة وهذا محال من الكلام ان يكون الله جل وعز طرفة عين خِلْواً من حياة وعلم وان قلتَ ان الامر غير ما ظننت ووصفتَ لما يلزمك من الشنعة لانه قد يوصف ان لله خليقة قبل ان يقارن شيئاً منها بالفعال قلنا انما هما وجهان اما ان يكون الله وحده ازليًّا وما سواه محدثا او ان تزعم ان البرية والخلائق ازلية ايضاً غير محدثة فلا احسبك الا ناقضاً على من يصف للخلق بشيءٍ من ذلك فاذن لا محالة يقال ان الله وله الحمد قد كان من غير ان يكون شيءٌ من الخلائق موجوداً فكيف جاز ان يوصف ان لله خليقة اذ لم يخلق بَعدُ حتى اتى الوقت الذي فيه شآءَ ان يخلق ما خلق فخلق الاَّ انا نقول من اجل انه قادر على ان يخلق اذا اراد يجب ان يوصف له خلق بانه لم يزل فليوصف اذن بانه لم يزل قد اقام القيامة واحيى الموتى وبعث من في القبور وقد ادخل الجنة جميع الابرار وملأ جهنم بمن كان مستوجباً لذلك مع اني لا اظن ان احداً من العقلآء يقول

كذا في الاصل

بهذه الصفة فينبغي ان نرجع اصلحك الله الى ما يوجبه العقل في المناظرة ونعلم ان الصفات في الله تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متصفاً بها وصفة اكتسبها له اكتساباً وهي صفة فعله فاما الصفات التي اكتسبها اكتسابًا من اجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف واما الصفات المنزلة التي هي الطبيعية الذاتية التي لم يزل جل وعز متصفاً بها فهي للحيوة والعلم فان الله لم يزل حيّاً عالماً فالحياة والعلم اذن ازليان لا محالة . فقد صحتْ نتيجة هذه لمقدمات ان الله واحد ذو كلمة وروح في ثلثة اقانيم قائمة بذاتها ايعمها جوهر اللاهوت الواحد فهذه هي صفة الواحد المثلّث الاقانيم الذي نعبده وهذه الصفة التي ارتضاها لنفسه ودلّنا على سرها في كتب دبوانه المنزل على ألسُنِ انبيائه ورُسُلِه فاول ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث اعلمه كيف خلق آدم فقال في السفر الاول من كتاب التورية " في البدء الآلهة بَرَاَ السموات والارض ." فبهذا يشير الكتاب المقدس الى تثليث الاقانيم ووحدة الطبيعة لانه بقوله الالهة بصيغة الجمع يشير الى الاقانيم الالهية الثلثة وبقوله بَرَاَ بضمير المفرد يشير الى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو للاقانيم الالهية الثلثة وقال ايضاً في هذا السفر ان الله قال عند خلقه آدم "لَنَصْنَعَنَّ انساناً بشبهنا وصورتنا" ولم يقل عز وجل اصنعَ او اعمل بصورتي وشبهي . وقال تبارك وتعالى في الاصحاح الثاني من هذا السفر عند ما اراد ان يخلق حَوّآء " لا يجمل ان يكون آدم وحده فلنجعل له معيناً مثله" ولم يقل اجعل وقال جل وعز ان آدم " قد صار كواحدٍ منا" توبيخًا له بذلك من اجل خطيئته ومعصيته الوصية في أكله من ثمرة الشجرة التي أمره الله ألاّ

يأكل منها فعصاه وأكل فورث بذلك موت الخطيئة ولم يقل تبارك وتعالى مثلي . وقال عز وجل في موضع آخر ايضاً من هذا السفر " تعالوا ننزل فنبلبل هناك لسانهم" وذلك لانهم اجتمعوا ليبنوا صَرْحاً يكون راسه في السمآء ففرق الله ضعف رايهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه من بنآء صرح شامخ يصير لهم ملجأً ومهرباً من الطوفان اذا جآهم مرة اخرى والله تبارك وتعالى عالم انه قد كان عاهد نوحاً انه لا يأتي الطوفان مرة اخرى على وجه الارض وكان بنآء هولآء والفكر فيه سخفاً وسفهاً فغير السنتهم ليتعطّلوا عن انفاذ فكرهم الذي لا معنى له ولم يقل انزل فابلبل . فهذا ما ناجى الله به موسى فخبرنا بهذا السر في الاقانيم الثلثه عن الله تبارك وتعالى أَمْتَرَى لنا أصلحك الله ان ندع كلام الله عز وجل والسِّرّ الذي اودعه موسى نجيه وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكن احداً من الآدميين ان يأتي بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ونقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا اعجوبة ولا دليل واضح ولا برهان ساطع حيث يقول ان الله فرد صمد ثم يرجع فيناقض قوله ويقول ان له روحاً وكلمة فهو قد وَحَّدَ وثَلَّثَ من حيث لم يعلم وما اظنك ترى ذلك صواباً اذا انت انصفتنا . ودانيال النبيّ يخبرنا في كتابه ان الله قال لبختنصر لك نقول يا بختنصر ولم يقل لك اقول . وفي كتابك ايضا شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى فعلنا وخلقنا وامرنا واوحينا واهلكنا ودمّرنا مع نظائر لهذه كثيرة أَفَيَشُكُّ احد يعقل في ان هذا القول قول شتى لا قول فرد فان ادعيت ان العرب قدَ اجازت

هذا القول واستعملته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفخم قلنا لك ايها الملفِّق للكلام انه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلُّق فاما اذ قد سبق العربَ العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوي الالسن المختلفة على غير تواطؤ فليس ما وصفتَ من اجازة العرب ذلك حجة مع انه من اين اجازت العرب هذا فان قلتَ بلى قد اجازته حيث يقول الرجل الواحد منهم آمرنا وارسلنا وقلنا ولقينا وما اشبه ذلك نقول لك ان ذلك صحيح جائز في المؤلَّف من اشياءَ مختلفة والمركَّب من اعضاءٍ غير متشابهة لان الانسان واحد كثيرة اجزآؤه فاول الاجزاء من الانسان النفس والجسد والجسد مبني من اجزاءٍ كثيرة واعضاءٍ شتى فلذلك جاز له ان ينطق بما وصفتَ من قلنا وآمرنا واوحينا اذ هو عدد واحد كما ذكرت فان قلت ان ذلك تعظيم لله جل وعز واجلال له وتفخيم ان يقول ارسلنا وآمرنا واوحينا قلنا لك لعمري لو لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم لجاز قولك ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلمنا انه واحد ذو ثلثة اقانيم قد نطق بكلتي الصيغتين من امرت وامرنا وخلقت وخلقنا واوحيت واوحينا فان الاولى دليل على الوحدانية والثانية على تعدُّد الاقانيم وبيان ذلك قول موسى النبي عن الله تعالى في التورية التي انزلها عليه ان الله ترأّى لابراهيم وهو في موضع يعرف ببلُّوط ممْرَا جالساً على باب خبائه في وقت استحرار النهار فرفع ابراهيم عينيه فراى ثلثة رجال وقوفاً بازآئه فبادر اليهم واستقبلهم قائلا " يا سيّدي ان كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فلا تتجاوزنَّ عبدك ." الا ترى ان المنظور

اليه من ابراهيم ثلثة وان المخاطبة مخاطبة شخص واحد فسمّاهم ربًّا واحدًا وتضرع اليه سائلًا طالبًا ان ينزل عنده . فعده الثلثة سر الاقانيم الثلثة وتسميته اياهم ربًّا واحدًا لا اربابًا سر لجوهر واحد فهي ثلثة بحق وواحد بحق كما وصفنا . ثم ان موسى اخبر ان اللّٰه قال له "اسمع يا اسرائيل الربُّ الهك ربٌّ واحد." معنى ذلك ان اللّٰه الموصوف بثلثة اقانيم هو ربٌّ واحد . وداود النبي يقول في المزمور الثالث والثلثين عن اللّٰه تعالى "بكلمة اللّٰه صُنِعَتْ السموات وبروح فيه كل جنودها" فافصح داود وصَرَّحَ بالثلثة الاقانيم حيث قال اللّٰه وكلمته وروحه فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود . ثم انه قال في موضع آخر من كتابه تحقيقًا بان كلمة اللّٰه اِلَهٌ حَقٌّ "لكلمة اللّٰه اسبح" فان كان داود عندك يسبح لغير اللّٰه ما اظنك تقول هذا . ثم انه يقول في موضع آخر من كتابه "تبارك اللّٰه اِلهنَا تبارك اللّٰه يوماً فيوما يسهل اللّٰه علينا." امداود كان يطلب ان يبارك عليه اله واحد ام آلهة ثلثة ولكنه رمز في كتابه الى ذكر الثلثة الاقانيم انها اله واحد . وقال اشعيآء النبي المحمود من اللّٰه تعالى في الاصحاح الثامن والاربعين "منذ البدء لم اتكلم في الخفآء ومنذ زمان قبل ان يكون انا هناك والآن الربُّ الالَهُ ارسلني وروحُهُ ." وهذا هو قولنا ثلثة اقانيم اله واحد ورب واحد لم نخرج عن حدود كتب اللّٰه المنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئاً ولا بدلناها ولا حرفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ولسنا ندع مناظرتك في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل اذا نظر في كتابنا هذا انك قد ظلمتنا فيه بل ظلمتَ الحق

وادعيتَ علينا معلًا لم نكن نفعله ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ان شآءَ اللّٰه تعالى .

ولنرجع الآن الى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفّيك الشهادات من كتب اللّٰه المنزلة ومن ديوان اسراره المقدسة على صحة قولنا وحقنا الذي بايدينا وصدق منهاجنا ونستعين باللّٰه على ذلك .

ثم وصف اشعيآء النبي ان اللّٰه عز وجل ترآى له والملائكة حافّون به مقدسون له قائلين "قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجدُهُ ملء كل الارض ." (اشعيآء ص ٦ ع ١—٣). فتقديس الملائكة ثلث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الاقانيم الثلثة الهاً واحداً وربّاً واحداً وهذا شانهم مُنْذُ خلقوا الى ابد الابدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى ولو شئتُ ان امطر عليك الشهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالتصريح والاجتهاد في القول في ان اللّٰه جلَّ وتعالى واحد ذو ثلثة اقانيم لفعلتُ ذلك لكني اكره التطويل فاقتصرت على ما كتبت ولما ذكرتَهُ في كتابك من انك درستَ كتب اللّٰه المنزلة حق دراستها فان كنتَ قد درستَها كما ذكرتَ فقد استدللت بيسير ما كتبتُ به اليك على كثير ما في كتب اللّٰه المنزلة من اسرار اقانيمه وتوحيده . فانا ابقاك اللّٰه ادعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي قد اوضحتُه لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضي به عقلك الى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحتُ لك كيف هو واحد ثلثة وثلثة واحد وليس كدعائك إيّايَ الى امر مدغم مبهم مجهول غير معقول . فاستعمل انار اللّٰه عقلك

وقلبك ما ضمنته عن نفسك فان الوفاة من الله بمكان . و ينبغي لك اصلحك الله ان تميّز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه . وليس دعاءي اياك اِلاّ الى الله الواحد الذي هو ثلثة اقانيم كامل بكلمته وروحه واحد ثلثة وثلثة واحد . ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلثة كما شنع في القول علينا صاحبك اذ قال " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اِلهٍ اِلاّ الهٌ واحدٌ وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ." (مائدة ٧٧ و ٧٨). فهذا قول صاحبك . ولقد كنتُ احبّ اكرمك الله ان اعلم مَنْ هولاء الذين يقولون ان الله ثالث ثلثة اَمِنْ فرق النصرانية هم ام لا وانتَ فقد ادعيتَ معرفة الفرق الثلث وهي لعمري الفرق الظاهرة فهل تعلم ان احداً منهم يقول ان الله ثالث ثلثة فما اظنك تعرفه ولا نحن نعرفه ايضا اللّهمّ اِلاّ اَنْ يكون اراد صنفاً يسمون المركيونية فانهم يقولون بثلثة اكوان يسمونها الهةً متفرقة فواحد عدل وآخر رحيم وآخر شرير وليس اولئك نصارى ولا يسمون بهذا الاسم فاما اهل النصرانية فكل مَنْ ينتحل هذا الاسم فهو بريءٌ من هذه المقالة جاحد لها كافر بها وانما قولهم ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق وقد اقر صاحبك بهذا اذ حثكم على الايمان بالمسيح سيّد العالم ومخلص البشر وامركم بذلك ودعاكم اليه بقوله " يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمته القاها الى مريم

وروح منه فآمنوا بالله ورسُله ولا تقولوا ثلثةٌ انتهوا خيراً لكم انما الله الهٌ واحد» (نسآء ١٦٩).

فافهم كيف اوجب ان الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرّح بانّ المسيح كلمة الله تجسدت وصارت انساناً فهل يكون من البيان والشرح او من الايضاح والتصريح اكثر من هذا . ثم ختم بقوله ولا تقولوا ثلثة الهة آويتوهم ذلك عن الله جل وعز بل انتهوا عنه فانه لعمري خير لكم الاّ تقولوا بمقالة مركيون الكلب الجاهل انها ثلثة آلهة . فقد شرحتُ لك اكرمك الله كيف مذهبنا ومعنى قولنا ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلثة اقانيم وقد اوضحتُه ايضاحاً يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية ونفع اذا لطف النظر ودقق الفكر ونصح لنفسه ان شآء الله تعالى .

فلنرجع الآن الى الباب الاخر من كتابك ونجيبك عنه فاقول قد فهمتُ ما دعوتني اليه من الشهادة لصاحبك والاقرار بنبوته ورسالته وما عظمتَ من أمره فاما تعظيمك اياه وتفخيمك امره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك وليس عندنا فيه إلاّ تسليمه لك والسكوت عنك اذ كنتَ اولى الناس بقرابتك وقرابتك اولى الناس بك وانما نحن مناظروك في ما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوته بأنّ ذلك حق واجب . فان كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا ولا لاحد ذي عقل ان يمتنع او يمتعض من قوله فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق إلاّ ظالم معتدٍ او جاهل بمعرفة قدر الحق وان كان ذلك غير الحق فلا ينبغي لك ان تقيم على غير الحق فكيف تدعونا اليه فانك اذا فعلتَ

هذا كنتَ ظالما لنفسك اَوَّلاً ثم متعديا على مَنْ تدعوه الى غير الحق فلنطرحْ الان من بيننا العصبية ولنفحصْ عن اول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا الى الاقرار له بالنبوة ونشرحها من اولها الى آخرها ونخبرها اختبارا شافياً ونتناظر فيها مناظرة انصاف كي لا نميل الى الهوى الذي يرى بعين الغرض والجور فان هذا امر جليل الخطب عظيم القدر شريف المنزلة وعلى حسب ذلك يجب ان يكون النظر فيه والبحث عنه بتأنٍ وتروٍ .

الستَ تعلم اكرمك الله ونحن معك ان هذا الرجل كان يتيماً في حجر عمه عبد مناف المعروف بابي طالب قد كفله عند موت ابيه وكان يعوله ويمنع عنه وكان يعبد الاصنام اللات والعزى مع عمومته واهل بيته بمكة على ما حكي هو في كتابه واقر به على نفسه حيث قال " الم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى " (ضحى ٦—٨) افلا ترى انه قد اوجب بهذا القول الاقرار بانه كان يتيما فآواه وضالا فهداه وعائلاً فاغناه . ثم نشا في ذلك الامر حتى صار في خدمة عِيرِ خديجة بنت خويلد يعمل فيها باجره ويتردد بها الى الشام وغيرها الى ان كان ما كان من امره وامر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذي تعرفه . فلما قَوّتهُ بمالها نازعته نفسه الى ان يدعي الملك والترؤس على عشيرته واهل بلده فراى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه الاّ قليل من الناس بعد الموازنة المجحفة وانت اكرمك الله عالم بمرارة انفس قريش وشدة اباتها لمثل هذا وشبهه من الضيم فعند ما ايس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وانه رسول

مبعوث من رب العالمين فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ما هي ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه وانما هم قوم عرب اصحاب بدو لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لانه لم يُبْعَثْ فيهم نبي قط وكان ذلك من تعليم الرجل الملقّن له الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا وكيف كان سببه ثم انه استصحب قوما فراغا اصحاب غارات ممّن يصيب الطريق على سنة البلد وعادة اهله الجارية عندهم الى هذه الغاية فانضم اليه هذا الضرب واقبل يبثث الطلائع ويدسس العيون ويبعث الى المواضع التي ترد القوافل اليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فياخذون العير والتجارات ويقتلون الرجال . والدليل على ذلك انه خرج في بعض ايامه فراى جمالا مقبلة من المدينة الى مكة وكانت الجمال لابي جهل بن هشام ويسمى ذلك غَزْواً على سبيل ما تسميه اعراب البادية اذا خرجت للغارة على السابلة واصابة الطريق وكان اول خروجه من مكة الى المدينة بهذا السبب وهو حينئذٍ ابن ثلث وخمسين سنة بعد ان ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلث عشرة سنة ومعه من اصحابه الذين قد الفوا معه ولصقوا به اربعون رجلا وقد لقي كل جهد وكل اذى من اهل مكة لانهم كانوا به عارفين فاظهروا ان طرده لادعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من اصابته الطريق . فصار مع اصحابه الى المدينة وهي يومئذ خراب يَبَابٌ ليس فيها إلّا قوم ضعفاء اكثرهم يهود لا حراك بهم فكان اول ما افتتح به امره فيها من العدل واظهار نَصَفَة النبوة

وعلامتها انه اخذ المِرْبَد الذي للغلامين اليتيمين من بني النجار وجعله مسجدا . ثم انه بعث اول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلثين راكبا الى العيص من بلد جهينة يعترض عير قريش وقد جاءت من الشام فلقي ابا جهل بن هشام في ثلثمائة رجل من اهل مكة فافترقوا لان حمزة كان في ثلثين فخاف لقاء ابي جهل وفزع منه فلم يكن بينهم قتال . فاين شروط النبوة اصلحك الله في هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى في التورية المنزلة من عنده لموسى حيث وعده ان يدخل بني اسرائيل الذين اخرجهم من مصر الى ارض الجبابرة المسماة ارض الميعاد وهي ارض فلسطين والشام ان الواحد يَهْزِمُ الفا والاثنين يَهْزِمانِ رَبْوَةً لِمَا الْقيتُ في قلوبهم من الفزع والرعب وكذلك كان فعله جل وعز بهم على يدي يشوع بن نون المتولي ادخال بني اسرائيل ارض الميعاد ومحاربة اهل فلسطين . فهذا اكرمك الله حد ما يطالب به في هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك . فلنرجع الآن اذ ليس عندك في هذا جواب وكنتَ من ذلك صفرا مقلجا انتَ وجميع من يعتقد مثلك مقالتك فنقول إمّا ان يكون حمزة هذا رسول نبيٍّ مبعوث وهو ابن عمه وعن امره خرج ومعه ثلثون راكبا وهو على حق عند نفسه فانحاز فَرَقاً من ابي جهل وهو كافر مشرك وانما معه ثلثمائة رجل كفار مشركين عباد اوثان ولم يحاربه بل سالمه او يكون هذا خلاف ما تدعيه انت انه نبي مرسل وان الملائكة تؤيّده وتقاتل دونه كما كانت تقاتل مع يشوع بن نون فانه راى ملكا في زيّ فارس فلم يعرفه يشوع فقال له امن اصحابنا انت ام من

اعدآئنا فقال له الملك انا عظيم جيوش الرب والسَّاعَةَ اقبلتُ فخرَّ يشوع بوجهه على الارض ساجدا وقال " ما يامر السيد عبده " فقال رئيس جيوش الرب " انزع خُفَّيكَ من قدمَيك لان المكان الذي انتَ فيه مكان مقدس " ففعل يشوع ذلك . وفي هذا القول من الملك ليشوع سر ليس هذا موضعه وكان يشوع في ذلك الوقت محاصرًا اريحا فلما اتى على ذلك سبعة ايام فتح يشوع اريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وانثى كما امره ملك الرب فما اظنك ايدك الله انك تجد في ذلك جوابا لانك خلو من ذلك . ولنذكر ايضا غزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيها ادنى جواب . ثم بعث في الثانية كما علمت عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكبا ليكون ضعف العدة الاولى فتقوى قلوبهم الى بطن رابغ بين الابوآء والجحفة فلقي ابا سفيان بن حرب وابو سفيان في مائتي راكب فكان بينهم من الدمآء ما قد علمت ثم رجعوا فما رايتُ احدا من الملآئكة اعانهم على امرهم بشيء وقد شهدت انت ان جبرائيل كان في صورة رجل راكب رَمَكَةً شَهبآءَ عليه ثياب خضر وقد ركب فرعون بجنوده على اربعمائة الف حصان في طلب بني اسرائيل فلما توسط بنو اسرائيل البحر قحم جبرائيل على الرمكة في اثرهم قائلا قدم خيير فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون واصحابه فنجا بنو اسرائيل وغرق فرعون واصحابه . هذه شهادتك واقرارك ببعض علامات موسى النبي التي اتى بني اسرائيل وانت صاحبك خلو من هذا كله . ولا بد لنا ان نأتيك بالثالثة فاصبر لها طائعا او مكرها . ثم

بعث سعد بن ابي وقّاص الى الخرّار خارج الجحفة في عشرين رجلا فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلك بيوم ففاته امله ورجع خائباً من رجائه . فهذه اكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فعله نبي الله صموئيل بشاول ولست شاكا في معرفتك بالقصة على ما حكيت انك عارف بالكتب المنزلة دارس لها حق دراستها وذلك ان قيسا ابا شاول غارت له أُتُنٌ فوجّه ابنه شاول في طلبها وصار شاول الى صموئيل النبي فقال له في بعض قوله وهو يخاطبه قبل ان يعلمه خبر ما جآء لاجله اما الأُتُنُ فرجعت الى بيت ابيك واما ابوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الاتن . فهكذا تكون شروط النبوة اصلحك الله التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل فتخبر الانبيآء عنه وتذكر كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يظهر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدلالات على النبوات . وقد قال المسيح الرب في انجيله النير الطاهر المقدس ان الشهادة العادلة الصادقة هي الكائنة من قِبَل رجلين عدلَيْن صادقَيْن او ثلثة عدول فتلك واجب قبولها وقد انبانك في فصل كتابنا هذا بثلث شهادات عَدْل لك فيهن مقنع . فلننظر الان بعد الغزوات الثلث التي خرج فيها هولآء السفر ومن خرج معهم بامر صاحبك فانصرفوا فُرُغًا في الغزوات التي خرج هو بنفسه فيها مع اصحابه فخرج اوّلاً يريد عيرا لقريش فانتهى الى ودّان فواءاه مجْشيٌّ بن عمر الضمري فلم ينل منها شيئا ورجع صفرا . ثم خرج ثانياً الى بواط وهي في طريق الشام في طلب عير لقريش فيها امية بن خلف الجمحي ورجع ولم يصنع شيئا . ثم

كانهم لولؤٌ مكنون وَاَقْبَلَ بعضهُمْ على بعض يتساءلون وقالوا اِنَّا كنا قَبْلُ في اهلنا مشفقين فَمَنَّ الله علينا ووقاة عذاب السَّمُوم اِنَّا كنا من قَبْلُ ندعوه انه هو البَرُّ الرحيم (الطور ١٢—٢٨) وقال تبارك وتعالى " والسابقون السابقون اولئك المقرَّبون في جنات النعيم ثُلَّةٌ من الاولين وقليل من الآخِرين على سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ منكئين عليها متقابلين يطوف عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدون باكواب واباريقَ وكاسٍ من مَعينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يتخيرون وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٌ عِينٌ كَاَمْثَالِ اللُؤْلُوْ المكنون جَزَآءً بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لَغْوًا ولا تأثيما اِلاَّ قِيلاً سلاماً سَلاَماً واصحابُ اليمين مَا اَصْحَابُ اَليَمِينِ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلّ ممدود وماءٍ مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفُرُشٍ مرفوعة اِنَّا انشاناهن اِنْشَآءً فجعلناهن ابكارًا عُرُبًا اَتْرَابًا لِاَصْحَاب اليمين ثُلَّةٌ من الاولين وثُلَّةٌ من الآخِرين " (الواقعة ١٠—٣٩) فهذه ابقاك الله صفة الجنة التي اعدها الله للمومنين به وبرسوله واعد لهم فيها الطيبات من الطعام والشراب وانواع الفواكه والرياحين ونكاح الحور العين اللآء هُنَّ كاَمْثَال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطاع ياخذون كلما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الاسرة متكئين على الارائك عليهم ثياب الحرير اللين مستورين بالاسرة المكللة باللولو تُعرَفُ في وجوههم نَضرَةُ النعيم يدور عليهم الولدان والوصائف والوُصَفاءُ الذين هم في جنسهم كاللولو المكنون يسقون من كاسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك

ومزاجه من تسنيم عينا يشرب منها المقربون يحيّون بها باحسن التحية واطيبها ويقولون لهم كلوا واشربوا وتنّعموا هنيئًا لكم بما كنتم تعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوع ولا لغوب فهم في هذا النعيم آمنون وانقون خالدون ابدا . واما الكفار الذين اشركوا بالله واتخذوا معه الانداد ولم يؤمنوا برُسله وكَذَّبُوا بآياته وحَرَّفُوا حدوده وحاربوه فهم اهل النار يلقونها كفاحا في جهنم لابثين في نار لا تطفى وزمهرير لا يوصف وهم فيها خالدون كلما احترقت جلودهم جددت لهم جلود اخرى مقامُهم في الجحيم وشرابهم المُهْلُ وطعامهم من شجرة الزقوم رُفقاءُ لابليس وجنود له وبئس المصير.

وقال عَزَّ وَجَلَّ " الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النَّبيِّين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقِسْطِ من الناس فَبَشِّرهُمْ بعذاب اليم اولئك الذين حَبِطَتْ اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ." (آل عمران ٢٠—٢١) وقال تبارك وتعالى " الذين يكفرون بالله ورُسُله . . . . . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حَقًّا وَأَعْتَدْنا للكافرين عذابا مهينا ." (النساء ١٤٩—١٥٠) وقال تبارك وتعالى " والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقْضَى عليهم فيموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ." (الملائكة ٣٣) وقال ايضا . . . . . " شجرة الزَّقُّوم إنَّا جعلناها فتنةً للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لَشَوْبًا من حميم ثم ان

خرج ثالثًا الى ان وصل الى يَنْبُعَ في طلب عير لقريش ايضا يريد الشام وهي العير التي كان القتال ببدر بسببها في رجعتها فرجع صفرا ولم يصنع شيئا . فانصف اصلحك الله في هذه المواضع وانت اهل لذلك ان كان صاحبك نبيا كما تدعي . فما للانبياء وَشَنّ الغارات والخروج لاصابة الطرق والتعرض لاخذ امتعة الناس . وما الذي ترك صاحبك هذا لِلُّصوصِ وقُطّاعِ الطريق . وما الفرق بينه وبين اتابك المخزمي هذا الذي قد تناهى الى سيدنا امير المؤمنين والينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس . فاجبنا ان يكن عندك في هذا جواب واضح . واني لَأَعْلَمُ انه لا جواب عندك ولا عند غيرك ممن اعتقد مثل اعتقادك كما لم يكن عندك في غيره مما سلف . ثم لم يزل كذلك ان وجد القوم الذين خرج في طلبهم في ضعف استاق عيرهم واخذ تجارتهم وقتل من امكنه قتله من رجالهم وان وافاهم وهم في مَنَعَةٍ وَقُوَّةٍ انحاز عنهم وولى هاربا الى ان مات . فكانت مغازيه بنفسه ستًّا وعشرين غزوة سوى السرايا التي كانت تخرج في الليل والسواري الخارجة نهارا والبعوث قاتل منها في تسع غزوات والباقية كان يبعث فيها اصحابه . ثم اعجب من هذا في قبح الاحدوثة والشناعة في الفعل والفظاظة توجيهه الى واحدٍ واحدًا يقتله بالغيلة كتوجيهه عبد الله بن رواحة لقتل اسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلة وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده الى ابي عفك اليهودي وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله بالغيلة ليلا وهو نائم على فراشه آمنا مطمئنًّا واحتج بانه كان يعيبه فاعلمنا اكرمك الله في اي كتاب

قراتَ هذا واي وحي نزل عليه به ومن اي حُكمٍ حَكَمَ على من اعاب ان يقتل فقد كان في تاديب هذا الشيخ على ذنبه شيء دون القتل وخاصةً ليلا وهو نائم مطمئن آمن على فراشه فان كان اعابه بما كان فيه فقد صدق وليس يجب على من صدق قتل وان كان كذب عليه في قوله فليس يجب على من كذب القتل بل يودب لئلاّ يعود. وانت تعلم اصلحك الله انه ما ساغ لاحد ان يُؤذي الطير في وكرها ليلا وهي آمنة مطمئنة فكيف انسان يبعث اليه من يقتله وهو على فراشه لانه كان يعيبه الم يكن دون القتل شيء آخر. اما في احكام الله فلا نجد هذا مطلقا لاحد ولا في احكام العقل والطبيعة بل هذا لعمري فعل الشيطان قديما بآدَمَ وذريته منذ نزل به ما نزل فاين قولك اصلحك الله انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة . واما بعثه لعبد الله بن جحش الاسدي الي نخلة وهو بستان ابن عامر في اثني عشر رجلا من اصحابه لياتيه باخبار قريش فلقوا بها عمرو بن الحضرمي في عير قريش وتجارة قد اقبل بها من اليمن فقتلوا عمرا واستاقوا العير الى المدينة فلما وردوا اخرج عبد الله بن جحش مما اغار عليه هو واصحابه الخمس فدفعه اليه . فهذا لا اقول انه حلال او حرام حتى اذا ما نظر فيه العادل يقول ما يوجبه العدل والانصاف . وكذلك ما فعل في قينقاع حيث صار اليهم بغير ذنب ولا علة الاّ الرغبة في اموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه واستوهبهم منه عبد الله بن أُبَيّ بن سلول فوهبهم له واخرجهم الى اذرعات بعد ان اخذ اموالهم فقسمها بين اصحابه واخذ هو الخمس قائلا هذا ما أفاءَ الله على نبيه . فليت

شعري كيف طاب له هذا وبماذا استحل ان يأخذ اموال قوم لم يؤذوه ولم يكن بينهم وبينه غل وانما استضعفهم وكانوا كثيري الاموال فما هكذا تفعل الانبياء ولا مَنْ يومن بالله واليوم الآخر وغير هولاء ممن لا احب تطويل كتابي بذكرهم فيمل منه القاري ويسامه وفي ما وصفنا كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه . فاما غزوة أُحد وما اصيب فيها من كسر رباعيته السفلى اليمنى وشق شفته وثلم وجنته وجبهته الذي ناله من عتبة بن ابي وقاص وما علاه به ابن قَمِيئَة الليثي بالسيف على شقه الايمن حتى وقاه طلحة بن عبيد الله التيمي بيده فقُطعَتْ اصبعه فهذا خلاف الفعل الذي فعله الرب مخلص العالم وقد سل رجل بحضرته على رجل سيفا فضربه به على اذنه فاقتلعها فلما نظر المسيح مخلصنا الى ذلك من فضله عمد الى الاذن فردها الى موضعها فعادت صحيحة كالاخرى والاّ حيث اصاب يد طلحة ما اصابها وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربه فرد يده الى ما كانت عليه من صحتها لكانت هذه من احدى علامات النبوة . واين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيتيه وشق شفته ودمي وجهه وهو نبي من الانبياء وصفي من الاصفياء ورسول الله كما كانت الانبياء توقى قبله كتوقية ايليا النبي من اصحاب اخاب الملك ودانيال من اسد داريوس وحنانيا واخوته الفتية البررة من نار بختنصر وغيرهم من الانبياء واولياء الله سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم إلاّ لاجله ومكتوب على سرادق العرش اسمه كما تدعون .

ولكننا ندع ذكر هذا الان وناخذ في قول ثان فنقول ان صاحبك هذا

افعاله خلاف قولك انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة لانه كان الرجل الذي لم يكن له فكر واهتمام الا في امراة حسنة يتزوجها او قوم يغير عليهم فيسفك دمآءهم وياخذ اموالهم وينكح نسآءهم ويشهد على نفسه انه حبب اليه الطيب والنسآء وانه من علامات نبوته انه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة اربعين رجلا نكاحاً . فلعمري ان هذا بعض آيات الانبيآء التي لا تكون الاَّ في مثله فاما تلك الهَنَات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امراة زيد فاني اكره ذكر شيء منها اجلالا لقدر كتابي هذا عن ذكرها غير اني آتي بشيء مما حكاه في كتابه الذي يزعم انه انزل عليه من السمآء واقر بلسانه اذ يقول : " واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسِكْ عليك زوجك واتّقِ الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احقُّ ان تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرجٌ في ازواج أدعيآئهم اذا قضوا منهنَّ وطراً وكان أمر الله مفعولاً ما كان على النَّبي من حرج فيما فرض الله له سُنَّةَ الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً" (احزاب ٣٧ و ٣٨) ويكتفي كل ذي عقل من القصة بنموذجها اذ لا يخيل ذلك على المميزين . وكذلك هناته مع عائشة وما كان من امرها مع صفوان بن المعَطَّل السُّلَميّ في رجوعهم من غزوة المصطلق بتخلُّفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نَحرَ الظهيرة راكبةً على راحلته يقودها وما قَذَفَهَا به عبدُ الله بن أُبَيّ بن سلول وحَسَّانُ بن ثابت ومِسْطَح بن اثاثة ابن خالة ابي بكر وزيدُ

ابن رفاعة وحمنة بنت جحش اخت زينب وتبليغ عليّ بن ابي طالب اليه كلام المتكلمين وعيب العائبين وان فيه مساغا للقول والظنة وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلا يا رسول الله لم يُضَيّقْ الله عليك والنساء سواها كثيرة فلم يلتفت الى ذلك كله لشدة اعجابه بها لانه لم يكن في من نكح من نسائه بكر غيرها ولا احدث سنا منها فكان لها من قلبه مكان وكانت خلّابة فرضي بما كان من ذلك الامر كله وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين عليّ الى آخر حياتهما ثم ادعى نزول برآتها في السورة المعروفة بسورة النور من قوله " ان الذين جآؤا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منم الخ فهذه القصة نعرفها كمعرفتك والخبر بها مستفاض وعندنا مشروح مفسر لا يجب كشفه . وكانت نسآؤه فيما ظهر كما قد علمتَ خمس عشرة حرة وامتين أُولاهُنَّ خديجة بنت خويلد ثم عائشة بنت ابي بكر وهو عبد الله المعروف بعتيق بن ابي قحافه . وسودة بنت زمعة . وحفصة بنت عمر وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيبة . وام سلمة واسمها هند بنت ابي امية وهي المخدوعة ام الاطفال التي زعم انه يذهب عنها الغيرة عند ما امتنعت عليه واحتجت بانها امراة غَيْرَى وانه يعول صبيتها لما اعتذرت انها ذات صبية وانها تخاف ألّا يرضاه اهلها فتضمن لها ان يكفيها ذلك حتى اجابت اليه ثم لم يفِ لها من ذلك الضمان بحرف واحد وهي التي تحلها جرتين ورحى ووسادة من ادم حشوها ليف فحصلت منه على هذا في الدنيا والاخرة . وزينب بنت جحش امراة زيد التي بعث اليها نصيبها من اللحم ثلث مرات

فردته في وجهه فهجرها وهجر نسآءه بسببها وحلف انه لا يدخل عليهن شهرا فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين . وزينب بنت خزيمة الهلالية . وام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان اخت معاوية . وميمونة بنت الحارث الهلالية . وجويرة بنت الحارث المصطلقية . وصفية اليهودية بنت حي بن اخطب التي علمها ان تفخر على نسآئه عند تعييرهن اياها وتقول انا التي هارون ابي وموسى عمي ومحمد زوجي . والكلابية وهي فاطمة بنت الضحاك وقيل انها بنت يزيد عمرة الكلابية وحنة بنت ذي اللحية . وبنت النعمان الكندية التي انفت منه حين قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب المليكة نفسها للسوقة . ومليكة بنت كعب الليثية ذات الاقاصيص . ومارية ام ابراهيم ابنه . وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية . فهولآء نسآوه اللواتي كن له وامتان . — قال بولص رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم ان الذي له زوجة انما غايته ان يصرف عنايته الى رضى زوجته والذي لا امراة له فعنايته مصروفة الى رضى ربه وقد صدق وقوله الحق لانه يحتاج ان يتشاغل بما يرضي امراته وكما قال الرب المسيح لايقدر العبد ان يخدم ربّين في وقت واحد ولا بدّ له من ان يلازم الواحد ويحتقر الآخر فاذا كان لا يمكن للرجل ان يخدم امراة واحدة ويرضيها ولا يسخط خالقه فكم احرى من يريد ان يصرف عنايته كلها الى رضى خمس عشرة مراة وامتين مع ما انت عارف من شغله بغيرهنّ الذي كان منغمساً فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرجال وسبي الحرم وسلب الاموال وتوجيه الطلائع وتعبية الكراديس لاصابة الطرفات وشن الغارات متى كان

يقع له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الامور الفراغ للصوم والصلوة والعبادة وجمع الفكر وصرفه الى امور الآخرة وما شاكل ذلك من اعمال الانبياء ولستُ اشك في انه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا ولكن فلندع الان ذكرهذا وناخذ في ذكر اعلام النبوة التي يجب معها الاقرار لمن اتى بها بان يسمى نبيا ورسولا وننظر في ما اتى به صاحبك وهل يوافق او يشبه شيئا مما جاءت به الانبياء ويشاكله وهل يجب علينا قبول ذلك منه او رده عليه .

فنقول ان النبي معناه المُنبِّئ اي المُخبِرُ بالامر الذى لم يكن اتى به مُخْبِرٌ قَبلَهُ فيخبّرُ به قبل وقوعه او بالامر الذي كان ولم يعرف كيف حدوثه وانما يوثق باخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التي تصدق حكايته وتشهد على صحة اِخْبَاره وذلك مثل موسى نبي الله الذي اخبرنا في السفر الاول من التورية المدعو سفر الخليقه كيف كان خلق السموات والارض وما فيهما وكيف كان خلق آدم وحوآء وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطوفان وقصة ابراهيم وولده ولم يزل ينسق تلك الأَخْبَار خبرا بعد خبر حتى انتهى الى خبره وكيف كان تجلي الله له في العوسجة ثم خبره مع بني اسرائيل وفرعون ومصر الى ان توفاه الله ويخلط مع انبآئه ما وعد الله من ادخال بني اسرائيل ارض الميعاد وانه مزمع ان يورثهم ارض الجبابرة التي هي بلاد الشام وكان ذلك على ما انبا به وحقق ما اخبرنا به من الخبر الماضي بالايات والاعاجيب التي فعلها فعلمنا انه كان صادقا بكل حكاياته وما جاء به عن الله جل وعز. فهذه شريطة المنبي بما كان

وما يكون من الامور وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحة ما راينا من وقوع الامر وتمامه عند دخول بني اسرائيل ارض الجبابرة بالايدي القوية فحصلت له بذلك شريطة المنبي بالخبر الذي لم يكن قبل حدوثه فقد وجب من هاتين الشريطتين ان موسى نبي بالحقيقة .

فاما المنبي بالخبر الذي لم يكن قبل وقوعه فيكون ذلك على وجهين اما مع قرب الزمان وحضور الوقت واما على بعد الزمان وطول الايام والدليل على ذلك وتصحيحه الآيات والمعجزات والعجائب والجرائح التي هي اعلام النبوّة الى ان يصح القول والانبآء مثل الذي تَنَبَّأَ به اشعيآء النبي لحزقيآء الملك حيث ورد عليه سنحاريب ملك الموصل بجيشه فحاصره وكاتبه بما كاتبه به من البغي عليه والوعيد والاستطالة فشكا حزقيآء ما دهمه به الى الرب فاوحى الله الى اشعيآء النبي اني قد سمعت دعآء حزقيآء فامض اليه وقل له يقول لك الرب اله اسرائيل الليلة تكفى مؤونة سنحاريب فلما كان تلك الليلة بعث الله ملكه فقتل من عسكر سنحاريب مائة الف وخمسة وثمانين الف رجل مُدَجَّجٍ فلما اصبح سنحاريب وراى ما نزل باصحابه وَلَّى هاربا . ومثل قول اشعيآء ايضا لحزقيآء حين كان مريضاً وقد اشفى ان الله قد اقالك من هذه المرضة وقد زاد في اجلك خمس عشرة سنة ودليلك على ذلك ان الشمس راجعة في مسيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ورجعت الشمس وبَرَأ حزقيآء من مرضه ذلك وما تُوُفِّيَ الّا لتتمة خمس عشرة سنة فهذا انبآء مع آية ودليل في وقت واحد .

ومثلهُ ما انبأَ بهِ عن امر الرب المسيح السيد جل وعز انه يولد من

العذرآء ويدعى اسمه عمّانوئيل تفسير ذلك الهنا معنا وانبأ ايضاً باشيآء كثيرة واخبر بها على بعد العهد وطول الايام من خراب بيت المقدس وسبي بني اسرائيل الى بابل وكان ذلك على بعد العهد وتاخّره وصح كله وتم كما قال . ومثل ذلك ما اخبر به ارميآء النبي عن خراب بيت المقدس ايضاً ودخول بختنصر اليه وهدمه اياه وسبيه بني اسرائيل ونقله اياهم الى بابل وانهم ماكثون ببابل في ذلك السبي وفي تلك العبودية سبعين سنة ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم فكان بعض ذلك وهو حاضر ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عز وجل في ذلك الوقت عند تمام السبعين سنة التي حدها لمقامهم ببابل . ومثلما تَنَبَّاَ دانيال النبي عن رجوع بني اسرائيل الى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه وتنبأ لبيلشاصّر الملك عن الروّيا التي رآها بيلشاصّر فخبره بالوحي عما كان مزمعاً ان يحلّ به فحلّ به ودانيال حاضر. ومثلما تَنَبَّاَ ايضاً على قتل المسيح وانه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة وانهم يُمَزَّقُونَ في البلاد كل ممزق ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال . وكذلك فعل جميع الانبيآء ومن استحق اسم النبوّة بالحقيقة . وكذلك كانت الملوك والامم يفعلون بمن ادعى عندهم شيئاً من النبوّة لا يُقْبَلُ منه ذلك الاَّ بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين فمن جآء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ومن لم يأتِ بشيءٍ من هذا كذبوه ونكلوا به والاَّ كان كل من

اتى بهذيان او بكلام منثور او كهانة او زجر او فال كان داخلاً في جملة من تنبّأ وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله . فاما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يجلّ على النبوة لان مرتبته اعلى واشرف وارفع من مرتبة الانبيآء فان الانبيآء عبيد الله تبارك وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الانبيآء والموحي اليهم والموجّه الرسُل والمؤيّد لهم بالكلمة المتجسّدة فيه وقد تنبّأ لليهود وللحواريين بما يدلّ دلا قاطعا على انه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وانه لا تخفى عليه خافية وانه خبير بالسرائر وبما هو مزمع ان يكون قبل كونه في الوقت الذي كان مقيما معهم مترددا بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يُرونه بناآء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة بناآئه وصحته وحسنه وتمامه " الحقّ الحقّ اقول لكم انّهُ لا يبقى من هذا البناآء حجرٌ على حجرٍ الا ويُنقَض" ومثل اخبارهم بما هو مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده مصعدا الى السمآء باربعين سنة . ومثلما كان يخبرهم ايضا بما في ضمائرهم وما يكتمونه في انفسهم من تدبيرهم في قتله ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس ان العازر صديقنا قد رقد (وكان العازر هذا نازلا في موضع يعرف ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس) فامضوا بنا نيقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض العازر ايها السيد ان كان قد رقد فقد برآ على عادة المرضى انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيتهم فلما لم يفهموا كلامه صرّح لهم القول معلنا ان

العازر صديقنا قد توفي فانا ماضٍ لابعثه حيًّا من بين الاموات فمضى وهم معه فبعثه حيًّا ودفعه الى أختيه مريم ومرتا وذلك بعد اربعة ايام من موته وكقوله لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان جميعكم في هذه الليله يخذلني فقال له سمعان سيدي ان خذلك الناس كلهم فلا اخذلك انا ابداً . فقال له السيد المسيح الحقّ اقول لك ستجحد معرفتي الليلة ثلث مرات قبل صياح الديك فجزع سمعان لذلك جزعا شديدا ونفر نفورا عظيما لقوله ذلك فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلث مرات في ثلثة مواضع مختلفة حالفاً بغليظ الايمان على جحوده وانكاره ونظر المسيح السيد اليه فذكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وانكاره (راجع متى ص ٩ و٢٣ ويوحنا ص ٧ و ١١)

فهذه اصلحك الله شروط النبوة ودلائلها وعلاماتها . فعرِّفنا هذا الذي أقررتَ له بماذا تَنَبَّأ وما نبوته التي ظَهَرتْ وبماذا استحق عندك او عند غيرك اسم النبوة وما الدليل على دعواه . فان قلتَ انه اخبرنا باقاصيص الانبياء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الاولين الذين ذكرهم في كتابه فجوابنا أكرمك الله الذي لا تقدر انت ولا غيرك ان ينكره او يدفعه هو انه انما اخبرنا بما سبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا واطفالنا في المكاتب فان ذكرت قصة عاد وثمود والناقة واصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه اخبار باردة وخرافات عجائز الحي اللواتي كن يدرسنها ليلهن ونهارهن وليس ذكرها دليلا على نبوته فقد سقطتْ

عنه شريطة من الشريطتين اللتين توجبان النبوة . فان قلتَ انه اخبر بما يكون قبل كونه الزمانك توضيح ذلك لان هذه نيف ومائتا سنة قد مضت من ذلك الوقت وكان يجب ان يصح وتحقق عندك شيء مما اخبرك انه سيكون وانت تعلم ونعلم بالحقيقة انه لم يأتِ في هذا الباب بشيء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوه بحرف واحد فسقطت عنه الشريطة الثانية من شريطتي النبوة واذ قد خلا من الشريطتين اللتين توجبان اسم النبوة واصفر منهما وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتنعة فلننظر في الآيات هل اتى من ذلك بشيء فنقول انه زعم في كتابه انه قيل له "وما مَنَعَنَا ان نُرسِلَ بالآيات الَّا اَنْ كَذَّبَ بها الاولون" (الاسرى ٦١) اي لولا ان يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التي جاءهم بها الاولون من قبلك لاعطيناك الآيات . فلعمري ان هذا من الاجوبة الممتنعة عند منتقدي الكلام الناظرين في قوانين حدود المنطق وانت تعلم أصلحك الله وكل من يسمع هذا الجواب ان صاحبك ابرا نفسه به من آيات النبوة لانه لم يقدر عليها وليس لمن مثالك في الانصاف ان يعدل عن الحق . فان ادعيتَ ان من الدلائل على نبوته ظفره وظفر أصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير اصحابه وحسن سياسة ملوكه مع كثرة العدد والسلاح والرجال اجبناك بكلام الله وقوله لبني اسرائيل ليس لان الله احبكم أكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الاموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم بل لآثام هؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم سلّطكم عليهم

واظفركم بهم . وكفعله ببيت المقدس ايضاً وقد اختاره من بين سائر الارض كلها واحل فيه اسمه وايده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة واسكنه انبياءه المصطفين وكان يُرَتَّل فيه اسمه بالتهليل والتسبيح ليلًا ونهاراً وتستجاب فيه الدعوات لانه محل البركات فعند ما طغى اهله وجعلوا لله اندادا وغَمَطُوا نِعَمَهُ وجحدوا آياته وظنُّوا عند نفوسهم أن الذي هم فيه انما نالوه وصاروا اليه باياديهم وقوتهم فقل شكرهم لله جل اسمه سَلَّطَ عليهم شر خلقه وارذلهم بختنصر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل فقتل الرجال الذين كانوا اولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه وسبي ذراريهم واخرب البيت الذي كان معروفاً باسمه ونقل الآنية التي كانت فيه الى بابل النجسة بعبادة الاصنام . فهل تقول ان بختنصر انما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن اهله ما بلغ لانه كان نَبِيًّا ام للسبب الذي ذكرناه آنفا . فكذلك ايضاً كانت قصة صاحبك واصحابه مع ملك فارس لان اهل فارس كانوا مجوسا انجاسا ارجاسا من أسقاط الامم وَجُهَّالهم يعبدون الشمس والنار وينكِحون البنات والاخوات والامهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر بجهلهم وقلَّة معرفتهم باقدارهم وادَّعوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم وابتذلوا نعمه كُفْراً وَعَدْوًا وسعوا في الارض فسادا وظلما وارتكبوا العظائم وتوهموا ان الذي هم فيه انما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم وبطشهم فسلبهم الله نعمته وَسَلَّطَ عليهم مَنْ اخرب بلادهم وقتل رجالهم واخلى مساكنهم منهم وسبي ذراريهم ونهب

اموالهم فلم يبق لهم امرأة إلاَّ نُكِحَتْ ولا ولد إلاَّ أُسْتُعْبِدَ وبادوا بسخط الله ورجزه كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين .

فلنرجع الان الى ذكر الآيات الموجبة لكل من اظهرها صحة ما يدعي من نبوة او رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر في ذلك نظرا شافيا فنقول اما كتاب صاحبك الذي ادعى انه مُنَزَّلٌ عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر الآيات بل كما قلنا آنفا زعم انه لولا أنهم كَذَّبوا بآيات الانبيآء الاولين لآتاه الله الآيات ولكنه كره ان يوتيه بشيء منها فيكذبون به . ولعمري اهذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوي العقل ويرضى به العلمآء والفلاسفة والمنتقدون للكلام والباحثون عن الاصول والاخبار فهذا ما شهد به كتابه . نعم ان الاولين من اليهود كذبوا بآيات الانبيآء وردوها واما الاعراب فبآيات مَنْ كَذَّبوا ولم يُبْعَثْ فيهم نبي قط ولا وجه اليهم رسول لا بآية ولا بغير آية . ولعله لوكان جآءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه ألَمْ تَرَ ان كثيرين منهم اجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا عنه أعجوبة ولكن انت تعلم حفظك الله ان هذه حجة مبهرجة تتلاشى عند المحن . فاما غير الكتاب فقد وجدنا لكم اخبارا وقصصا هي كخرافات العجائز منها زعمهم انه كان من آياته العجيبة المعجزة انه وقف بين يديه ذئب فعوى وبكى فالتفت الى أصحابه قائلا لهم هذا وافد السباع فان احببتم ان تفرضوا له شيئا لا يعدوه الى غيره وان احببتم تركتموه وتحرزتم منه قالوا ما تطيب له بشيء فاوما اليه باصابعه الثلث ان خالسهم فولى وهو غائل . فهذه لعمري آية عجيبة

لم يسمع السامعون بمثلها قط ولم يَرَ الرآون اعجب منها تضل عندها عقول الفلاسفة والحكماء وتحير منها العلمآء وذوو الحيل والفطن الدقيقة أنَّهُ عرف عوآء الذئب وانه وافد السباع . فليت شعري لو كان قال لهم ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه مَنْ كان يَرُدُّ عليه قوله فواضح أن هذا الخبر يا اخي وضعه لقوم لا محنة لهم ولا منتقد باحث فيهم . ومنها زعمهم ايضاً ان الذئب كلم اهبان بن اوس الاسلمي فاسلم ولو ادعى ان اهبان ذكر ان الاسد كلمه لكان عندي اعجب على انه ساوى بينه وبين نفسه فيهما بل فَضَّلَهُ على نفسه اذ الذئب معه عوى فادعى هو معرفة ما قال في عوائه انه وافد السباع فاما اهبان فانه زعم ان الذئب ناطقه بلسان عربي بين والاعجب في ذلك ان هاتين الآيتين لم تجريا إلّا بواسطة الذئب الذي يعرف بالخاطف من السباع وهذا لقبه في كتب الله المنزلة . فمثلك ايدك الله لا يحيل عليه مثل هذا الكلام وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه . وكذلك قصة ثور دريح وادعآؤهم مخاطبته دريحا عند ضربه اياه . وكتابه يشهد ان الاعراب اشد كفراً ونفاقا . واما شاة ام معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلي ذلك من الخرافات الاخرى كدعائه الشجرة فاسرعت اليه مقبلة عجيبة تجهد في الارض فهذا امر نوخره اذ فيه نظر مع ان اكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يقبلونه بل يردونه ولا يصححونه . وكذلك السم الذي سمته به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم اليهودي في شاة مصلية اي مشوية فكلمته الذراع واكل معه بشر بن البرآء بن معرور فمات وان السم الذي لم يزل يدب

في بدنه كان سبب موته . فليت شعري هل هو سمع الكلام من الذراع وحده ام سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته فان كان سمعه هو وحده فَلِمَ لم يمنع ابن البرآء من آكل طعام مسموم حتى لا يموت وابن البرآء رجل من اصحابه قد اختصه بالاكل معه وكيف استحل ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له انها مسمومة وان كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر فكيف لم يمتنع ابن البرآء من الاكل وهو يسمع الذراع تقول لا تأكل مني فاني مسمومة وكيف امتنع هو من الاكل وترك ذلك الشقي يأكل من طعام مسموم فقتله . فليس يخلو هذا من احد وجهين إمَّا ان يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك غدرا وإمَّا ان تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البرآء من ذلك الاكل حيث سمع ولا يموت وحيث مات ابن البرآء من اكله السم ولعله انما اكله ثقة منه بانه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب العالمين مُشَفَّعٍ عند ربه في جميع ما سالهُ لِمَ لم يَدْعُ ربه فيجيبه كعهدنا بالانبيآء المشفَّعين في احيآء الموتى فان ايليآء النبي قد احيى ابن الارملة بصرفة (ملوك اول ١٧) . وهكذا اليشع تلميذ ايليآء قد اقام ابن الشونمية من الموت حيًّا (ملوك ثان ٤) . وقد فعلتْ الانبيآء مثل هذا مرارًا كثيرة وهم احيآء وفعلتْ ايضًا القوة الحالة في عظامهم كفعل عظام اليشع النبي حيث وضع الميت عليها فعاش (ملوك ثان ١٣) . وانتَ تعلم ان هذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر كتب الملوك مفسَّراً ليس فيه اختلاف بين النصارى اصلًا ولا بين اليهود وهما ملتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك . وكيف لم

ياكل هو منها ايضاً ولم يصبه شيء فيكون ذلك آية له وشاهد على صحة ما يدعي من النبوة ان كان نبيا كما تقول لان الانبياء باسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه من الآفات التي تحتال الكفرة بها عليهم وعلى اولياء الله كقول الربّ المسيح لتلاميذه في انجيله المقدس ووعده لهم بما وفى لهم به اذ يقول ان انتم شربتم السم القاتل لم يضركم يعني اذا اردتم اظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزاً مطلقاً فقد كانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه فتظهر صحة دعواهم على المحنة والتجربة فانقادت لهم الملوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء أصحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ولا فصاحة بدعة الفاظ ولا حذق بحجة ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة بل لما كانوا يرون من اظهارهم الافعال المعجبة التي يمتنع امكانها في عقول الآدميين فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فلسفتهم ويزهدون في علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وايثارهم ويتبعون اناساً فقراء الظاهر صيادي سمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب غير انتمائهم الى طاعة المسيح الذي اعطاهم السلطان والقدرة على افعال تلك العجائب . فهذه أصلحك الله دلائل النبوة وعلامات الرسالة وصحة الدعوة الى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لاحقيقة له . واما الميضأة وخبرها وانه ادخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم فالخبر بذلك جاء عن محمد بن اسحق الزهري وامرها ضعيف عند اصحاب الاخبار ولم

يجتمع أصحابك على صحته فكيفما اردت فاخبار صاحبك أصلحك الله ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ولا تصح دعوة واحدة مما سواها على انه قد سبق فقطع الدعاوي وحذف ذكر الآيات بتّةً فسقطت دعوى من ادعى له آية وانما بُعث بالسيف زعم تصليبا وان كل من لم يقر انه نبي مرسل قتله او يودي الجزية ثمنا لكفره فيدعه فهل تريد أصلحك الله دليلا اوضح او حجة اقنع او برهانا اصح على بطلان ما جآء به صاحبك اكثر من هذا ان انت انصفت نفسك وصدقتها على ان صاحبك قد اقر وقطع باقراره كل سبب مما نقلت عنه الثقاة الحاملون اخباره فانه قال قولا مصرّحا غير مكاتم ولا مساتر انه " ليس من نبي الا وقد كذبت امته عليه ولست آمن ان تكذب عليّ امتي فما جآءكم عني اعرضوه على الكتاب الذي خلفته بين اظهركم فان كان له مشاكلا وكان له فيه ذكر فهو عني واني قلته وفعلته وان لم يكن له ذكر في الكتاب فانا بريٌّ منه وهو كذب ممن رواه عني وما قلته ولا فعلته ". فانظر اصلحك الله في هذه الاخبار التي ذكرناها مما يقول أصحابك هل تجد لها اصلاً في الكتاب الذي في يدك فان كان لها فيه اصل او ذكر فهي لعمري صحيحة قد فعلها واتى بها والا فهو بريٌ منها وهي اباطيل واكاذيب تقوّلوا بها عليه ثم اعظم من هذا واشنع انه كانْ يقول لهم في حياته ويوصي اليهم اذا مات الّا يدفنوه فانه سيرفع الى السمآء كما ارتفع المسيح سيد العالم وانه اكرم على الله من ان يتركه على الارض اكثر من ثلثة ايام ولم يزل ذلك عندهم متمكنا في قلوبهم فلما مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من

ربيع الاول سنة ثلث وستين لمولده وقد مرض اربعة عشر يوماً تركوه ميتاً يظنون انه سيرفع الى السمآء كقوله فلما اتت عليه ثلثة ايام وتغيرت رائحته وانقطع رجآوهم من ذلك وايسوا من تلك المواعيد الباطلة ووقفوا على كذبه دفنوه في التراب يوم الاربعآء . وحكى بعضهم انه مرض سبعة ايام بذات الجنب وانه عزب عقله وخلط في كلامه تخليطا شنيعا فغضب لذلك عليٌّ بن ابي طالب وانكره فلما افاق اخبره بما كان فقال لا يبقيَنَّ في البيت احد الا العباس بن عبد المطلب فلما كان اليوم السابع من مرضه مات قربا بطنه وانعكست اصبعه الشمال وهي الخنصر. وذكر ضمران انه كان تحته في مرضه شملة حمرآء وعليها مات وفيها ادرج بعد موته ووري في التراب بغير غسل ولا اكفان . وروى عمران بن خضير الخزاعي انه غسل وادرج في ثلثة اثواب سحولية اي بيض يمانية وان الذي تولى ذلك منه عليٌّ ابن ابي طالب والفضل بن العباس بن عبد المطلب عمه . فلم يبق احد ممن كان تبعه الا ارتد ورجع عما كان عليه غير نفر يسير وشرذمة قليلة من اخص اهله واقربهم نسبا اليه طمعًا بما كان فيه من تلك الرئاسة فكان لابي بكر عتيق بن ابي قحافة في ذلك اعجب تدبير والطف حيل واكثر رفق فتولى الامر بعده بذلك السبب فاغتاظ علي بن ابي طالب غاية الغيظ ودخل عليه ما يدخل على من لم يشكك ان الامر صائر اليه فانتزع من يده كل ذلك حرصا على الدنيا ورغبة في الرئاسة فلم يزل ابو بكر برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدين الى ان رجعوا بضروب من الحيل والرفق والعدات والتشويقات

والاماني والخداع وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف وبعض بالترغيب في سلطان الدنيا واموالها وإباحة شهواتها ولذاتها فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه وما اشكّ اكرمك الله الا انك ذاكر ما جرى في مجلس امير المومنين وقد قيل له في رجل من اجل اصحابه انه انما يظهر الاسلام وباطنه المجوسية القذرة فاجاب بما علمته من الجواب حيث قال " والله اني لاعلم ان فلاناً وفلاناً حتى عدد جملة من خواص اصحابه ليظهرون الاسلام وهم ابرياء منه ويراءونني واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك انهم قوم دخلوا في الاسلام لا رغبة في ديانتنا هذه بل ارادوا القرب منا والتعزز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه واني اعلم ان قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة ان اليهودي انما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته اذا اظهر الاسلام وما قصة هولاء في مجوسيتهم واسلامهم الا كقصة اليهودي واني لاعلم ان فلاناً وفلاناً حتى عدد جماعة من اصحابه كانوا نصارى فاسلموا كرهاً فما هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم مخاتلون فما حيلتي وكيف اصنع فعليهم جميعاً لعنة الله اما كان يجب عليهم اذ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التي هي اشر الاديان واخبث الاعتقادات او عن النصرانية التي هي اذعن الاقاويل الى نور الاسلام وضيائه وصحة عقده ان يكونوا اشد تمسكا بما دخلوا فيه منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياء ولكن لي قدوة برسول الله صلّعم واسوة به لقد كان اكثر اصحابه واخصهم به واقربهم اليه نسباً يظهرون انهم اتباعه وانصاره وكان صلعم يعلم انهم منافقون وعلى

خلاف ما كانوا يظهرون له وصح ذلك عنده وانهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ويريدون به السوء ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه نظر العين حتى ان جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة واحتالوا في تنفير بغلته لترمي به فتقتله فوقاه الله كيدهم وشر ما كانوا يبغونه له ثم كان يداريهم دائماً الى ان قبض الله روحه على غاية ما يداري به الاعداء المكاشفين حذراً منهم انما ينبغي لي انا ان اشابهه صلعم هذا وكان حيًّا ملء ثيابه ثم ارتدوا جميعاً بعد موته فلم يبق منهم احد كان يظن به رشداً الا رجع وارتد وحرص على تشتيت هذا الامر وابطاله ظاهراً وباطناً وعلانية وسرًّا الى ان ايده الله وجمع تفرقهم والقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشمل والف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة واتمّ الله ما اتمّه وما المنة في ذلك له ولا هو محمود عليه بل المنة لله والحمد والشكر له على ذلك باسره فلست اذكر ما اراه ويبلغني عن أصحابي هولآء لا ابعد الله غيرهم وما لهم عندي الا المداراة والصبر عليهم الى ان يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين». ولولا ان سيدي امير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملأ في مجلسه اجله الله فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد الى الغائب لما حكيته وانت تشهد لي اني لم اتزيّد في شيء من ذلك وانما ذكّرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة واردتُ اعادته لاذكرك امر الرد وان القوم لم يكن ردهم الى هذا الامر الا رغبة في الدنيا ولاتمام هذا الملك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الالباب ممن ينظر في كتابنا

هذا جواب مقنع ان شآء الله . فلنرجع الان الى كلامنا الاول ونقول انه كان عمره ثلثًا وستين سنة منها اربعون سنة قبل ادعائه النبوة وثلث عشرة بمكة وعشر في المدينة وهذا اصلحك الله ما لا تقدر انت ولا غيرك ممن يدعي مثل ادعائك ان ينكره اوتجحده والذي نقل اليك دينك ووثقت به في جميع مانقله عنه هو الذي نقل هذه الاخبار فهذه قصته من اولها الى اخرها .

فان ادعيت ان موسى النبي ويشوع بن نون ولي الله وخليفة موسى قد حاربا اهل فلسطين وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا الذراري واحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الاموال مما انكرت على صاحبنا من امره وفعله قلنا لك انهما فعلا ما فعلاه عن امر الله عز وجل لقوام ما اراده وقدّره وانجاز مواعيده فان ذلك كان في قوم قد طغوا وبغوا وتجاوزوا الحد فاحب تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الاب المشفق على ابنه . وان قلتَ وما الدليل على ان ذلك منهما كان عن امر الله سبحانه وتعالى وان الذي فعله صاحبك لم يكن عن امر الله قلنا لك ان نبي الله موسى حيث جآء بالآيات العجيبة المعجزة التي فعلها بمصر بحضرة فرعون وجميع اهل مصر بعد ما فعل اهل مصر ببني اسرائيل ما فعلوه وبعد ذلك اخرج بني اسرائيل بتلك اليد الرفيعة والقوة المنيعة وفلق لهم البحر واجازهم وغرق فرعون واصحابه عندما تبعهم وضرب الحجر الاصم فتفجر منه اثنى عشر نهرًا سقاهم منها وانزل لهم المن والسلوى وما اشبه ذلك مما اتى به مما هو ممتنع في قدرة المخلوقين لا يقدر احد ان يفعل ذلك غير الخالق جل وعز ومن اعطاه الربّ القدرة على فعل مثله صارت هذه دلائل

واضحة وشواهد له صادقة بان جميع ما حكاه وفعله عن امر الله تبارك
وتعالى وصح عندنا ايضا من وجه آخر انه لم يجيء من بعده نبي ولا
رسول من عند الله الا ثبّتَ له مقالته وصحح قوله وما جآء به وعلمنا ان
قتال الكفار الذين قاتلهم وسبي ذراريهم واحرق مساكنهم ونهب
اموالهم حق من الله وكذلك ما فعل يشوع بن نون من استيقافه
الشمس في وسط الفلك عن مسيرها الى ان انتقم الشعب من اعدائه
وكذلك توقيفه القمر بامر الربّ فوقف وشهد له الكتاب بانه لم
يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستانف لانها آية
خصّ بها يشوع بن نون فتكون شهادة له وجلالاً الى اخر الابد وكذلك
افاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها واذ قلت انك قرات كتاب
يشوع ودرسته حق دراسته فلا وجه لاعادتها ونحن واليهود المخالفون لنا
متفقون على تصديقه عن غير تواطوٍ وانه حق كما حكاه ديوان الله
لا نشك فيه ولا نرتاب فاعطنا انت اصلحك الله ادنى حجة
او آية او لمعة اعجوبة تومئ بها الى صاحبك انه فعلها او يقر
له كتابه بصحتها حتى نصدق نبوته ونقر برسالته ونقبل دعوته
ونعلم ان ما فعله من قتل الناس وسبيهم واخذ اموالهم
واخراجهم من ديارهم كان عن امر الله عز وجل كفعل
اوليآء الله ولكنا نعلم حقيقة انه لا جواب عندك في هذا وانك
لا تقدر ان تاتي بشيءٍ مما سُئلت عنه فلا ينبغي لك اصلحك الله أن
تظلم وتذمم من رد عليك قولك وانكر دعواك قائلًا ان الله لم يبعث
صاحبك رسولًا ولا نبياً ولا امره بمحاربة احد ولا موادعته وانما هو

رجل متغلب ادعى لنفسه ما ادعاه فاعانه على ذلك قوم من عشيرته
واهل بيته وبلده فليس على من جحد هذا ورده لوم ولا عيب ولا
ذنب بل ان انصفت عذرته واحمدتَ رايه وارتيضتَ بصحة عزيمته
وقلت بجودة فكره لاحادته عن القول المتهافت المتناقض الشاهد على
نفسه ببطلانه وانت تعلم عملك الله كل خير ان العقل والنصفة يوجبان
ذلك اللهم الا ان تستعمل المباهتة التي ليست من مذهبك ولا من
اخلاقك بل هي سلاح العُمَّه اليهود والكفار والجهال فان الكذب
والبُهت والمكابرة اصل قولهم ومتن كلامهم وعقد امرهم لانهم
يشبهون الشيطان اباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان كما شهد
الربّ يسوع المسيح عليه في انجيله المقدس الطاهر فَالاَمَ ارجع
اصلحك الله من امرك وكيف اقول وبما احتج لك عند عقلي وهل ترى
ان اقبل قولك من غير حجة ولا برهان ولا دليل مقنع اترى ذلك
صوابًا وما اظنك يرحمك الله ترى لي ذلك كيف وسيدي المسيح قد
قال في محكم انجيله المقدس ان جميع الانبياءِ انما تنبات الى وقت
مجيئي وعند ظهوري زالت النبوات باجمعها فلا نبي بعدي فَمَنْ جآء
بعدي مدعياً نبوة فهو لص خاطف لا تقبلوه فشرعليَّ يا خليلي هل
ترى لي ان اعدل عن وصية ربي المسيح مخلص العالم واقبل غرورك
وخدعك وامانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزائلة بغير دليل ولا حجة فما
اظن مثلك من اهل التمييز والعقل اشار بمثل هذا الخطا العظيم ولا
مثلي قبله واصغى اليه . فارجع الى عقلك يرحمك الله وانصفه واستعمل
القانون الحق ودع التحامل للقرابة والعصبية للنسب المضمحل فاني لك

ناعم وعليك مشفق واذكر ما قرانه في الانجيل الطاهر حيث يقول السيد المسيح لحواريه "ان كثيرين من الانبيآء والملوك اشتهوا ان ينظروا من انتم تنظرون ولم ينظروا واشتاقوا الى ان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا" (لوقا ١٠—٢٤) . فهل ينبغي لك وانت قرات مثل هذا ان تميل عنه الى غيره من امور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفنائها . وبعد هذا كله فكان ينبغي لك ان تعلم اننا انما صدقنا الانبيآء وقبلنا اقوالهم عندما جآءونا بشروط النبوة ودلائل الرسالة واعلام الوحي لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا بالشرف في الحسب والنسب ولا بكثرة العشيرة وصوله المنعة ووفور المال ولا بتسهيل السنن والشرائع ولا باعطآء الجسد شهواته ولا لاجل الفرق من السلطان والخوف من السيف والسوط بل بالآيات العجيبة التي لا يقدر الآدميون ولا يتهيأ في حيلهم ان ياتوا بمثلها فهي دلائل واضحة الهية مثل آيات الانبيآء وعجائب ربنا المسيح واعمال تلاميذه الحواريين التي كانت تضل عندها عقول الفلاسفة وحكمة الحكمآء فقبلنا اقاويل هولآء وجميع ما جآءونا به وصدقناهم واقررنا لهم به وانه حق منزل من عند الله عز وجل لكون مثل هذه الشهادات الصادقة معهم وبرآتها في ايدينا وعندنا آثارهم قائمة واعلامهم نيرة لا يجحد ذلك احد ولا يمكن غيرهم ان يدعيه ولا ينكره الا من عاند الحق واستعمل المباهتة وسوء التمييز . وقد اقتضانا اصلحك الله هذا الفصل من كتابنا هذا ان نناظرك فيه بعض المناظرة في ما اتاك به صاحبك هذا الذي تدعي له النبوة من الشرائع والاحكام فنقول ان الشرائع والاحكام لن

تخرج عن ثلثة اوجه لا يقدر ذو نطق ان ياتي بزيادة فيها ولا تنقيص منها وذلك اما ان يكون الحكم حكماً الهياً وهو حكم التفضُّل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه لا بغيره ولا يشبهه سواه وإما ان يكون حكماً طبيعياً قائماً في العقل مولوداً في الفكر يقبله التمييز ولا ينكره وهو حكم العدل وإما ان يكون حكماً شيطانياً اعني حكم الجور وهو ضد الحكم الالهي وخلاف الحكم الطبيعي . فاما الحكم الالهي الذي هو فوق الطبيعة واشرف منها فهو التفضل الذي جآء به المسيح مخلص العالم سيد البشر الذي اقر صاحبك وشهد له اذ يقول " وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيلَ فيه هُدىً ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التّوراة وهُدىً وموعظةً للمتّقين" (مائدة ٥٠) وذلك ان المسيح قال في انجيله الطاهر " غالبوا الشرَّ بالخير واحسنوا الى مَنْ اساءَ اليكم وتفضلوا على الناس جميعاً وباركوا على من لعنكم وادعوا لمن اذنب اليكم وآتوا الجميل والمعروف الى من شتمكم لتشبهوا في ذلك فعل ابيكم الذي في السمآء فانه يجود بوابله على الابرار والفجار ويشرق شمسه على الاخيار والاشرار" (متى ٥) . فهذا هو الحكم الالهي وشرائعهُ فوق الطبيعة واعلى من العقل الانساني وهو حكم التفضل والرحمة والعفو والتشبه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحيم . والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة الملايم الانسانية وهو ما جآء به موسى النبي بقوله في حكمه "العين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس والضربة بالضربة والجراح قصاص" فهذا حكم

الطبيعة الداخل في قانون العقل وهو حكم العدل والنصفة ان تأتي الناس بمثل ما آتوا به اليك وتفعل بهم كما فعلوا بك ان خيرا فخيرٌ وان شرا فشرٌ وليس ذلك مضاهيا للحكم الالهي ولا مما يسنّهُ الرب الرحيم المتفضل الرؤوف بخلقه . والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني المسال الذي هو للجور والشر بعينه . فلا تلُمْ اصلحك الله على ايجابنا الحجة عليك في ذلك فانك تعلم اننا بعد معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحاني ذبًّا عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا فانك ان لمتَ في ذلك ظلمت على اننا لا نلتفت الى لومك ولا لوم غيرك في ذلك . وانا ارجع اليك بالمسالة سائلا الله جل وعز الهامك الانصاف وتلقينك القول بالعدل في اعلامي اي هذه الاحكام الثلثة التي ذكرناها واي شريعة جاءَ بها صاحبك فان قلت انه جاءَ بالاحكام الالهية قلنا لك قد سبقه المسيح سيدنا اليها بستمائة سنة وبها يعمل اصحابه وتابعوه منذ ارتفاعه ممجدا الى السماءِ الى هذه الغاية والى ان تنقضي الدنيا ولم نَرَ احداً من اصحابك علم شيئا منها ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك . وان قلت وما اظنك قائلا انه جاءَ بالاحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه الى ذلك موسى النبي واوقفنا عليه وشرحه لنا شرحا بينا عن الله في التوراة وليس لاحد ان يدعيه لانه ناطق قائم له وحده مشاهد في كتابه اللّهمَّ الا ان يكون المدعي لذلك مكابرا للعيان ظالما متعديا بهاتا ياتي الى ما هو كضوْ الشمس حق قائم في ايدي اهله وهو لهم وعندهم وفيهم فيروم ان يطمسه ويحاول بمباهتته ادعاءَهُ لنفسه . فهذان حكمان قد عرفنا اصحابهما واقررنا لهم بهما . فقد بقي

الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور. فانظر اصلحك الله نظرا شافيا بروية صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ مَن القائم بهذا الحكم الناصر له المتمسك بشرائعه العامل به والا فاعلمنا اي حكم جآء به صاحبك واي شريعة اتى بها غير الحكم الثالث الذي شرحناه لك لنقبله منك ان اوجب قبولا وننقاد لك فيه فاننا لا نعاند الحق ولا نرده من حيث اتى. فهل تقول يرحمك الله انه جآء بالحكمين معا يعني حكم المسيح وحكم موسى وشرحهما في كتابه قائلاً " النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والانف بالانف الخ" كما قال موسى ثم اتبعه بقول المسيح وان غفرتم فانه " اقرب للتقوى" (مائدة) فانت تعلم ان هذا كلام متناقض كقول القائل قائم قاعد واعمى بصير وصحيح سقيم في حال واحدة فما اظنك تستجيز اطلاق هذا الكلام على هذا من الاطلاق لانه محال من القول ثم لا ينكتم ايضاً ولا يختفي على متدبره ومتعقبه انه كلام سُرق من موضعين مختلفين اعني التوراة والانجيل . ثم ان انت اقررت كل واحد من هذين الحكمين وادعيته فلا يُقارُّك اصحابهما ولا يَدَعُونك وذلك لانه حق لهم وهم اشد تمسكا به وصيانةً له من ان يسامحوك عليه لانهم قد ورثوه فصار في ايديهم ارثا مقبوضا وحقا مسلما لهم ويقولون لك انك متعد ظالم تروم اخذ ارثنا من ايدينا مع اقرارك انت انه لنا غير جاحد له فان حاولت اخذه فانت غاصب لا حق لك . بل آتِنا انت بما في يدك وعندك مما ليس في ايدينا ولا عندنا لنعلم انك محق صادق في ادعائك . أليس انما تُلجا الى القول الثالث الذي يقيمون عليك فيه البينة العادلة انك انت

جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما انت مقيم عليه مقرٌ به وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه وهو شريعة لك انت مستعملها ثم ترجع فتنكر وتجحد ما انت فيه من حكمك وتتبرا منه وبعد هذا وقبله فلا اظنك ترضى لصاحبك ان يكون تابعا للمسيح وموسى وانت تزعم فيه ما تزعم وتدعي له ما تدعي من الحظوة والقدر والمنزلة عند رب العالمين وتجتريُّ على الله وتقول لولا صاحبك ما خُلق آدم ولا كانت الدنيا ولقد جئت يا هذا اصلحك الله بامر ذي بُهت ادعيتَ له في الآيات ما ادعيت بقولك لولا ان يكذبوا بها كما كذب الاولون ولم تَدَّعِ له ذلك في الشرائع وانه ما كان عليه ان يأتي بها فيُزيِّنَ بها بعض امره اوليس ذلك لانه لم تكن شريعة رابعة بقيت فلما لم يبقَ الا الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه الى الشريعتين جآء هو بالشريعة الثالثة فلا ادري باي قوليك آخذ ولا عن ايهما اجيب فاصدق نفسك يرحمك الله ولا تغشها لان ذلك حرام عليك وليس الدين من الامور التي يجوز ان يتوانى ذو اللب والعقل عن الفحص والبحث عنها ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على اصولهِ واسبابهِ وفقك الله الى الحق وجنبك الباطل بحولهِ وقوتهِ . وكاني بك وقد لجئت الى ان تقول ان الحجة البالغة عندك هذا الكتاب الذي في يدك وان الدليل على صحة كونهِ منزلا من عند الله ما فيه من الاخبار القديمة عن موسى والانبيآء وعن سيدنا المسيح وصاحبك رجل امي لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الاخبار فلولا انه أُوحي اليه وأُنبيء به فمن اين عرف ذلك حتى نسقه وجآء به . ثم تقول لا يقدر انسيٌّ ولاجنيٌّ ان ياتي

بمثله ثم تقول "وان كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شُهداءكُم من دون الله ان كنتم صادقين" (بقرة ٢١) وقوله "ولو أنزلنا هذا القُرآنَ على جبلٍ لرَأيتهُ خاشعاً متصدّعاً من خشية اللّهِ" (الحشر ٢١) ونظائر هذه الاغلوطات فهذا اعظم الدليل واصح البرهان واوضح الحجة بزعمك على نبوتهِ فكانك جعلت هذا آية له وحجة مثل فلق البحر لموسى ووقوف الشمس ليشوع بن نون واحياء الموتى للمسيح واعاجيب الانبياء السالفين ولعمري ان هذا الكلام قد اضل قوما كثيرين وقد اويت من هذا الكلام الى ركن ضعيف القواعد متداعي الدعائم واهي القوائم وجوابك في هذا قريب غير بعيد وحاضر غير غائب ولا متخلف ولا بدَّ لنا من كشف هذه القصة وان كان في كشفها بعض المرارة عليك فان بطَّ القروح النغلة لا بد ان ينال صاحبها منه اذىً والم فاصبر لالم الحديد قليلاً تجد الراحة وحلاوة العافية عندما يتضح لك الحق وتظهر لك مائدة هذا القول وتدليسه عليك فنقول انه ينبغي لك ان تعلم اولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب ثم تدعي حينئذ مثل هذه الدعاوي المندلسة التي لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص وذلك انه انما كان رجل من رهبان النصارى يعرف بسرجيوس أحدث حدثا انكره عليه أصحابه فحرموه واخرجوه وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة وامتنعوا من كلامهِ ومخاطبتهِ على ما جرت به العادة منهم في مثل هذا الضرب فندم على ما كان منه فاراد ان يفعل فعلاً يكون له به تمحيص عن ذنبه وحجة عند اصحابهِ النصارى فصار الى بلد تهامه فجالها حتى افضى الى تربة مكة

فنظر البلد غالبا فيها صنفان من الديانة فكان الاكثر دين اليهود والاخر عبادة الاصنام فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمى عنده نسطوريوس وذلك انه اراد بتغير اسمه اثبات راي نسطوربوس الذي كان يعتقده ويتدين به فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقي اليه الشيء بعد الشيء الى ان ازاله عن عبادة الاصنام ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس . فلما احست اليهود بذلك ناصبته العداوة فطالته بالسبب القديم الذي بينهم وبين النصارى فلم يزل يتزايد به الامر الى ان بلغ به ما بلغ فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذب عنها وتزكية اهلها والشهادة لهم انهم اقرب مودة وان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون (مائدة ٨٥). فلما قوي الامر في النصرانية وكاد يتم توفي نسطوريوس هذا فوثب عبد الله بن سلام وكعب المعروف بالاحبار اليهوديان بخبثهما ومكرهما فاظهرا له انهما قد تابعاه على رأيه وقالا بقوله فلم يزالا على ذلك المكر والدهاء والتدبير عليه بكتمان ما في انفسهما الى ان وجدا الفرصة بعد موته . فلما توفي وارتد القوم وافضى الامر الى ابي بكر وحبس عليٌّ بن ابي طالب عن تسليم الامر لابي بكر علما انهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما فاندسّا الى عليّ بن ابي طالب فقالا له آلا تدعي انت النبوة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني فلست باخس منه وكان عليٌّ بن ابي طالب قد احسّ بما كان نسطوريوس الراهب عليه الا انه كان صغيرا وقتما صاحبه

واوعزا اليه ألاَّ يعلم احدا بموضعه ولا يُطلِعَ احدا من اهله عليه فقيل علي منهما ذلك لصغر سنه وقلة تجربته ومال الى قولهما بسلامة قلبه وحداثة سنه وقلة تجربته فلم يتمم الله لهما ذلك ولم يبلغهما اياه لانه اتصل بابي بكر بعض خبرهما فبعث الى عليٍّ فلما صار اليه ذكره الحرمة ونظر الى ابي بكر والى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه . وكانا قد عمدا الى ما في يد عليّ بن ابي طالب من الكتاب الذي دفعه اليه صاحبه على معنى الانجيل فادخلا فيه اخبار التوراة وشيئا من جل احكامها واخبار بلدها وشنعا فيه وزادا ونقصا ودسا تلك الشناعات كقولهما " قالت النصّارى ليست اليهودُ على شيءٍ وقالت اليهودُ ليست النصّارى على شيءٍ وهُم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فاللهُ يحكُمُ بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفُونَ " (بقرة ١٠٧) ومثل الاعاجيب وذلك التناقض الذي لا يحيل على الناظر فيه ان المتكلمين به قوم شتى مختلفون كل منهم ينقض قول صاحبه ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه الا ان عليّاً حيث ايس من الامر آنْ يصير اليه صار الى ابي بكر بعد اربعين يوما وقال قوم بعد ستة اشهر فبايعه ووضع يده في يده وقال له ما حبسك عنا وعن متابعتنا يا ابا الحسن فقال كنت مشغولا بجمع كتاب الله لان النبي كان اوصاني بذلك . فانظر ايها العادل في هذا الكلام وتدبر ما معنى شغله بجمع كتاب الله وانت تعلم ان الحجاج بن يوسف ايضا جمع المصاحف واسقط منها اشياء كثيرة فكتاب الله ايها المغرور لا يُجمَع ولا يُسقَط منه شيء

وانت واهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين لان الثقات من رواتكم نقلوا هذه الاخبار وصححوها فلبس بينهم فيها خلف وانت تعلم ايضا انهم رووا ان النسخة الاولى هي التي كانت بين القريشيين فامر عليّ بن ابي طالب باخذها لما اشتد عليه الامر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهي النسخة التي كانت محضة على معنى الانجيل الذي دفعه اليه نسطوريوس وكان يسميه عند اصحابه جبرائيل مرة والروح الامين مرة فلما قال عليٌّ بن ابي طالب لابي بكر في البيعة الاولى اني شغلت في جمع الكتاب قالوا فمعنا قولٌ ومعك قولٌ وهل يجمع كتاب الله فاجتمع امرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من اجزائه كسورة برآءة التي كتبوها عن الاعرابي الذي جآءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد وما كان مكتوبا على اللخاف والعُسُب وهو جريد النخل وعلى عظم الكتف ونحو ذلك ولم يجمع في مصحف وكانت لهم صحف وادراج على منهاج ادراج اليهود وذلك من حيلة اليهوديّة وكان الناس يقرأون مختلفين فقوم يقرأون ما مع عليّ بن ابي طالب وهم اتباعه الى اليوم وقوم يقرأون بهذا المجموع الذي ذكرنا امره وقوم يقراون بقرآءة الاعرابي الذي جآء من البرية وقال ان معي حرفا وآية واقل واكثر فكتب ولا يدري ما قصته ولا في ما انزل وطائفة تقرا بقرآءة ابن مسعود لقول صاحبك من اراد ان يقرا القرآن غضا طريا كما انزل فليقرا بقرآة ابن ام معبد وكان يعرض عليه في كل سنة مرة وفي السنة التي مات فيها عرض عليه مرتين وقوم يقراون قرآءة ابيّ بن كعب لقوله اقراكم أُبيٌّ وقرآءةُ ابيّ وقرآءةُ ابن مسعود متقاربتان

فلما صار الامر الى عثمان بن عفان واختلف الناس في القرآءة اقبل علي بن ابي طالب يتطلب العلل على عثمان ويتتبع العثرات ويعيبه ويخالف عليه وذلك تدبرا على قتله فكان الرجل يقرا الآية ويقراها الاخر قرآءةً مختلفة ويقول الرجل منهم لصاحبه قرآءتي خير من قرآءتك ويحتج كل منهم لصاحبه بالذي يقرا بقرآءته ويقع في ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل فقيل ذلك لعثمان وانهم يختلفون في القرآءة ويزيدون في الكتاب وينقصون ويتضاغنون في ذلك ويقع بينهم الشر والاخذ بالعصبية ولا نامن ان يتطاول الامر ويتفاقم فيقع بينهم القتل ويفسد الكتاب وترجع الردة فبعث عثمان فجمع كل ما امكنه من تلك الادراج والرقاع وما كتب اولا ولم يتعرضوا لما في يد علي بن ابي طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرا بقرآنه ولا دخل معهم في هذا التاليف فاما أُبي بن كعب فمات قبل هذا التاليف واما ابن مسعود فطلبوا منه ان يدفع اليهم مصحفه فابى فصرفوه عن الكوفة واستعملوا ابا موسى الاشعري وامروا زيد بن ثابت الانصاري وعبد الله بن عباس وقيل محمد بن ابي بكر بتاليفه واصلاحه وحذف الفاسد منه وكانا حديثي السن وقالوا لهما اذا اختلفتما في شيءٍ او لفظة او اسم فاكتباه بلسان قريش فاختلفا في اشياء كثيرة منها التابوت قال زيد هو التابوه وقال ابن عباس بل هو التابوت فكتباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة . فلما جمعوا هذا التاليف على ما في هذه المصاحف كتبت اربعة مصاحف بخط جليل ووجه احدها الى مكة وخلف اخر في المدينة ووجه آخر الى الشام وهو اليوم بملطية ولم يزل ذلك

المصحف الذي كان بمكة الى ايام ابي السرايا فلما كان في تلك الايام وهو آخر سلب سلبت الكعبة (سنة ٢٠٠ هجرية) ليس ان ابا السرايا سلبها بل في تلك الفتنة فقد قيل احترق في ما احترق واما مصحف المدينة ففقد في ايام الجبرة وهي ايام يزيد بن معاوية ووجد بالمصحف الرابع الى العراق وكان بالكوفة وهي يومئذ قبة الاسلام ومجمع المهاجرين والصحابة ويقال ان ذلك المصحف باق الى اليوم بالكوفة وليس بصحيح بل فقد في ايام المختار ثم امر بجمع ما جمع من تلك المصاحف والادراج التي جمعت من البلاد وكتب الى العمال ان يجمعوا ما امكنهم منها وينقضوه حتى لا يعلم ان احدا عنده منها شيء وتوعّد المخالف منهم فكل ما صار اليهم غلوا له الخل وسرحوه فيه وتركوه حتى تقطع واهترى ولم يبق شيء يعلم الا متفرقا مثلما قيل عن سورة النور انها كانت اطول من سورة البقرة وكما قيل ان سورة الاحزاب مبتورة ليست بتمامها وكذلك قالوا في برآءة انها لم يوجد بينها وبين الانفال فصل يعرف فلم يفصلوهما بسطر بسم الله الرحمن الرحيم ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين لما اثبتوهما في المصحف لا تزيدوا فيه ما ليس فيه ومثل قول عمر على المنبر لا يقولن احد ان آية الرجم ليست في كتاب الله فانا قد كنا نقرا " والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة " فلولا ان يقال ان عمر قد زاد في القرآن ما ليس فيه لزدتها فيه بيدي ومثل قوله في آخر خطبة خطبها اني لا اعلم ان احدا قال ان المتعة ليست في كتاب الله بل قد كنا نقرا آية المتعة ولكنها سقطت فلا جزى الله من اسقطها خيرا فانه

اوتمن فما ادى الامانة ولانصح الله ولا رسوله فقد اسقط من المموّه عليه من القرآن شيئًا كثيرا وقوله ايضاً وما كان عليه ان يرخص الله للناس وانما بعث محمدًا بالدين الواسع . وقال ابي بن كعب سورتان كانوا يقراونهما فيه وانما قال هذا في التاليف الاول ولم يدرك هذا التاليف وهما سورتا القنوت والوتر وهما اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك الى اخر الوتر. وكذلك آية المتعة فان عليًّا كان اسقطها بَيِّنَةً وقال انه سمع رجلا يقراها على عهده فدعاه وضربه بالسوط وامر الناس الا يقراها احد مكان هذا بعض ما شنعت به عليه عائشة يوم الجمل وقد ادخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت في بعض قولها انه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه وقد بدل وحرّف . وبقي مصحف عبد الله بن مسعود عنده فهو يتوارث الى الساعة وكذلك مصحف علي بن ابي طالب عند اهله . ثم كان من امر الحجاج بن يوسف ما كان انه لم يدع مصحفا الا جمعه واسقط منه اشيآء كثيرة ذكروا انها كانت نزلت في بني امية باسمآء قوم وفي بني العباس باسمآء قوم وكتبت نسخ بتاليف ما اراد الحجاج في ستة مصاحف فوُجه واحد الى مصر وآخر الى الشام وآخر الى المدينة وآخر الى مكة وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وعمد الى تلك المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرحها فيه فتقطعت واحتذى في ذلك بما فعله عثمان . والدليل على ما كتبنا انك الرجل الذي قد قرات كتب الله المنزلة وانت تعلم كيف انتسقت الاخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على ان الايدي

الكثيرة قد تداولته واختلفت فيه الآرآء وزيد فيه ونقص منه وكل قال ووضع ما اراد وهوي واسقط ما كره وسخط افهذه عندك اكرمك الله شروط كتب الله المنزلة سيما وصاحبك اعرابي جِلْفٌ ياوي البادية فخطر خاطر في قلبه فسجعه بلسانه وصار به الى قوم بَدْوٍ فتقرب به اليهم وهم يشهدون في كتابهم ان الاعراب اشد كفرا ونفاقا ومن هو اشد كفرا كيف يوخذ عنه سر الله ووحيه وتنزيله على نبيه وانت تعلم ما كان بين عليّ وابي بكر وعمر وعثمان من الاحنة والعداوة فقد زاد هولآء ونقصوا وزاد هذا ونقص وانما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ومناقضته قوله ومباراته فمن ابن نعلم اي الاقوال هو الصحيح وكيف يمكن لك ان تميزه من السقيم وقد زاد فيه الحجاج ونقص منه وانت عارف بمذهب الحجاج في جميع اموره فكيف تستوثقه في كتاب الله وتُعدِّلُه وتامنه على ذلك وقد كان الرجل الذي يتقرب الى بني امية بكل ما يجد اليه سبيلا . هذا وقد كان اليهود البُهتُ مخالطين لهم وكان بعضهم قد اظهر لهم الدخول معهم في المقالة وانما كان ذلك مكرا منه وخديعة وحيلة للفساد وتدسرا منه عليهم ليبطل الامر ويضمحل . فهذا أصلحك الله اصح دليل واوضح برهان لا يحيل الا على من قد اعمى الجهل بصره وطمس على قلبه والا فأيّة حجة او اي شيء من الشرح اكثر مما قد شرحنا . ولولا انك الرجل الذي قد قرات كتب سرائر الله ودرستها حق دراستها وان الانصاف اصل شيمتك لما شرحنا لك هذا الشرح والحق رحمك الله فيه بعض المرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة فلهذا السبب قد

اكتفيا بما ذكرناه فاصبر للمرارة اليسيرة من الدوآء تعقبك حلاوة
كثيرة في العاقبة على انك تعلم وكل من ينظر في كتابنا هذا اننا
لم نكسب اليك بشيء زيادة على ما في كتابك من ذات انفسنا
بل ولم نثبت الا الصحيح مما نقلته رواتكم العدول الثقات عندكم
الماخوذ بقولهم المعول في الدين على ما نقلوه من هذه الاخبار وغيرها
في صحتها وانهم لم يتزيّدوا فيها ولا مالوا الى احد الفريقين وقد ثبتنا
صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب انه انما هو
كلام منثور لا نظام له ولا تاليف ولا معنى ينسق بل هو متناقض
كله ينقض بعضه بعضا فقد صح عندنا وعند كل ذي لب ان الذي
نقلوه الينا من خبره هو على ما حكوه ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا
من تناقضه وتفاوت معانيه واخبار اصل جمعه اكثر مما شرحنا ولكن
في ما اثبتنا كفاية لذوي الالباب والعقول ومن اراد نصح نفسه
فاي جهل اعظم من جهل من ادعى ان هذا الكتاب حجة ودليل
لمن جآء به وشاهد لنبوة نبي مبعوث مثل فلق البحر لموسى واحياء
الموتى وابرآء الأكمه وتطهير البرص لسيدنا والهنا المسيح مخلص
العالم ان هذا حقا لجاهل مائق لانه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين
الاشكال على اني لا اظن احدا به ادنى مسكة من عقل او له ادنى
تمييز يجتري ان يفكر في هذا فضلا عن ان يتفوه به ولم يخطر مثل
هذا قط الا على بال غبي غارب العقل مختلس اللب ضعيف القلب .
افتراك اعزك الله تحمل نفسك في صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة
تحصلك على ان تحتج بمثل هذا الكتاب مع ما قد عرفت من اخبارة

واسباب اصوله فهذه حجة منكسرة عند مثلي من ذوي التفتيش والبحث على اصول الاخبار . وانت تعلم اني الرجل الذي قرات الكتب وعنيت بمعرفة الاصول وكيف كانت من اولها الى آخرها وان المبهرج من الاخبار والمدلس من الاحاديث غير جائز على من مثلي ولا نافع عندي . فاخبرني اصلحك الله عن قول صاحبك "قُل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأْتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً" (اسرى ٩٠) أَفتقول افصح الفاظا منه فجوابنا لك في هذا نعم افصح منه كلام اليونانية عند الروم والزوبة عند اهل فارس والسريانية عند اهل الرها والسريانيين وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين فان كل لسان له كلام فصيح عند اهله من سائر الالسن ولهم الفاظ فصيحة يتخاطبون بها وهي عندك كلها اعجمية كما ان لسانك العربي الفصيح عندك اعجمي عندهم هذا اذ اطلقنا قولك ان كتابك افصح الفاظا بالعربية وذلك ان صاحب فصاحة الالفاظ باي لسان كان هو الذي لا يحتاج الى استعارة الفاظ غيره ولا يستعين بها في خطبه وكلامه بل يكون مستغنيًا بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر في كتابه الى استعمال لسان غيره وهو القائل "إِنَّا انزلناهُ قرآنًا عربيًّا لعلَّكم تعقلون" وقد خاطب به اعرابا عاربة فصحاء بلغاء اصحاب خطاب كقوله الاستبرق وسندس وابارق ونمارق واشباه هذه التي انما هي الفاظ فارسية ومثل المشكاة فانها لفظة حبشية وهي الكوة ومثل هذا كثير قد استعمله

في كتابه فنقول لعل العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجئ معه الى لسان غيره في هذه الاشيآء سيما وانت ترى انها منزلة من عند رب العالمين على يد جبرائيل الملك الامين . فاما انك توقع النقص بالمرسل او بالرسول فان كان من عند صاحبك فوقع النقص به لانه لم يكن يعرف هذه الاسمآء بالعربية ولم يدرك علمها فلذلك اعجزته فهذه الفاظ امرئ القيس وغيره من الشعرآء والفصحآء المتقدمين والمتاخرين الذين لا يحصى عددهم وكلام الخطبآء والبلغآء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك اصح الفاظا منه وارق وادق معاني باقراره لاهلها حيث حاجُّوه فقطعوه فقال "بل هم قوم خصمون" لانهم خصموه فكانوا خصماً باصح حجة وابلغ في الخطابة منه وهو القائل ان من البيان لسحراً فلا يخلو اذا امر هذا الكتاب وما وضع فيه من الالفاظ الاعجمية من ان يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي مع علمنا نحن وانته بان لساننا العربي اوسع الالسن كلها او ان يكون قد ادخلت فيه الزيادة من قوم آخرين كما ذكرنا لك في اصل خبره وان الايادي الكثيرة قد تداولته فاخبرني اصلحك الله اي القولين احببت فانه لا محيص لك من ان تقول باحدهما وانت عارف بنتيجة ذلك اذا قلته فان قلت انهم لا يقدرون ان يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه قلنا لك ان تنضيد الشعرآء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو اصعب وادق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضاً واختيار الالفاظ النقية الصافية العربية الخالصة مع انتساق المعنى المحسن اكمل في الاحكام واصح في الصنعة لان كتابك كله انما هو سجع منكسر وكلام

مختلف وتكسير معان لا معنى لها . فان قلت بل هو اصح معاني سالناك اي معنى غريب ظفرت به فيه ادللنا عليه واعلمنا به حتى نتعلمه منك واي معنى صحيح وجدته فيه وغُريتَ بمعرفته اخبرنا به واوقفنا عليه او اي خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة في شيءٍ من الكتب المتقدمة استفدته منه أَلَيْسَ هو الذي قراناه ودرسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن اصوله واسبابه وفتشنا عن خبره فصرنا في العلم به ارسخ من كثير من اهله واي شيءٍ هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلُها امكان الآدميين وتصير حجة ودليلا على بعثه نبيًّا يوجب الاقرار له بالرسالة والنبوة والايمان على الوحي والتنشير من عند الله حتى يقاس به او يُرَيّ فيه آية مثل فلق البحر واحياء الموتى وسائر آيات الانبياء العجيبة وانما صار هذا كذلك وجاز بالتدليس والبهرجة ووصفه بالفصاحة وحسن التنضيد وجود الاعراب وان الانس والجن لايقدرون على ان ياتوا بمثله لانه وقع الى قوم اميين انباط سقاط عجم علوج فعظم في اعينهم وكبر في صدورهم والّا فانت اذا اصدقت نفسك تيقنت كيف كان اصل القصة في هذا وان مسيلمة الحنيفي والاسود العنسي وطليحة ابن خويلد الاسدي وغيرهم قد عملوا مثلما عمل صاحبك واشهد اني قرأت مصحفا لمسيلمة لو ظهر لاصحابك لرد اكثرهم الا انه لم يتهيا لهولاء انصار مثلما تهيا لصاحبك وكاني بك قد لجأت فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها جنّة لك تستتر تحت فيئها فانت تعلم ان حجتنا في اللغة وحجتك واحدة والامر بيننا فيها مشاع غير مقسوم

واننا فيها شركآء فليس لك علينا فيها فضل ولا في يدك منها ما ليس في ايدينا ولا علمك بانقد فيها من علمنا وانك لتقر طائعا انا معشر العرب نرجع جميعا في اللغة الى يعرب بن يشجب بن نابت بن سماعيل ابينا وانما هذه الحجة المبهرجة هي دعوى مدلسة تجوز على لانباط والاسقاط والعجم والمغفلين والاغبيآء الذين لامعرفة لهم باللسان العربي وانما هم فيه دخلآء فلما ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدقوه وتناولوه على قدر عجمتهم فاما العرب العاربة الذين هم البدويون فلسانهم واحد ولغتهم واحدة وكل منهم يفهم كلام صاحبه واما اهل الحضر ومن نشا بين الابيات وخالط العجم والاعلاج فلعمري لقد افسد بعضهم كلام الآخر لطول المعاشرة وغلبة العادة فليست بك حاجة الى ذكر اللغة ولا لك في ذلك بلغة ولا ملجا . فان قلت ان قريشا افصح العرب وانهم قوم خصمون بالحجة وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر ان تنكره ولا تجحد صدقه وهو ان مليكة بنت النعمان الكندية حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت " املیكة تحت سوقة " فانت ونحن لا نشك ان قريشا كانت تجار العرب وسوقتها وكندة كانوا الملوك المسلطين على سائر العرب ولست اقول هذا افتخارا عليك بشرف جنسي من الكندية ولا لموضع نسبي في العربية بل لكي تعلم ان كندة كانوا اقويآء فصحآء بلغآء خطبآء شعرآء رجالا للملك وقادة للجيوش ذوي انعام وافضال حتى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون في مصاهرتهم ويفتخرون بحمل بناتهم اليهم هذا ما لا يدفعه الا جاهل ولقريش من الفضل في السودد والكرم

وخاصة لهاشم ما لا ينكره الا من قد اعمى الحسد بصره وطمس نور عقله وكذلك قولي في جميع العرب وسائر قبائلهم لان لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصا من الله على سائر العجم . فان ادعيت ان كلام العرب مدون في الشعر وان اخبارها قد قيدت به فلا نماريك فيه ونسلمه لك ولا نلتفت اليه وذلك قلة اكتراث لهذا القول وقلة مبالاة به لانه قول لا يخفى فساده على ذوي الالباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند اهل النظر لانا قد نجد كل مشغوف مصروف ودعي اعجمي قد قال الشعر فاذا نحن قرنّا شعره بشعر غيره من العرب العاربة اللسان الذوي الشعر لم نجده مختلفا عنهم ولا مجانبا لهم بل وجدناه سالكا سبلهم محتذيا منهجهم واذا كان هذا كذلك فليس تدوين العرب اذا اخبارها وتقييدها كلامها بالشعر حجة في كتب سرائر الله للقائل بها حجة ناطقة لانه لا يؤمن ان يكون قد قيل من الشعر ما قد اشبه به شعر القدمآء من العرب مما قد وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس اذا الشعر حجة عند اهل الفحص والنظر ولا دعوى صحيحة بل هو عند الحكمآء والفلاسفة هذيان الموسوسين غير اننا معشر العرب نقدم الشعر ونوثره ونقول بمحاسنه ومفاخره ونذكر فضائله ونعلم ان ديوان العرب فيه آداب كثيرة وعلوم ظريفة واحاديث عجيبة ولا نشك عند تحصلنا الامور وصدقنا انفسنا انه قد افسد وادخل فيه ما لبس منه بالتشبيه والمقايسة لانه كلام لا يخطر عليه وانما هو منثور وخواطره النفوس الفارغة ومشاع بين الناس جميعا يتناوله من احب وينالة من

طلبه تقربا به الى الملوك للاكتساب والمواصلة اليهم باسبابه فلهذا احتمل ان يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس اذن الشعر حجة البتة في شيءٍ من كتب سرائر الله الا لغةً فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب . فلا تظلم اصلحك الله عقلك وتبخس تمييزك حقه بغلبة سلطان الهوى الجائر والعصبية فانه انما يجوز مثل هذا على الاغمار والجهال والآفنين واهل النقص في الراي الذين لاعقل لهم ولا معرفة عندهم ولم يتخرجوا بمطالعة الكتب ومعرفة اصول الاخبار المتقدمة فهم همج كاجلاف الاعراب المعتادين لاكل الضب والحرباء قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش في الوادي والبراري تسفقهم سمائم الصيف وزمهرير الشتاء وهم في غاية الجوع والعطش والعري فحيث لوح لهم بذكر انهار خمر ولبن وانواع الفاكهة واللحم الكثير والاطعمة والجلوس على الاسرة والاتكاء على فرش السندس والحرير والاستبرق ونكاح النساء اللواتي هن كاللولو المكنون واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظل الممدود التي هي صفات منازل الاكاسرة وقع هذا في خلدهم وكان بعضهم قد راى ذلك في اجتيازهم ومسيرهم الى ارض فارس اسنطاروا فرحا وظنوا انهم قد نالوه فعلاً عند سماعهم اياه قولا فحملوا نفوسهم على محاربة اهل فارس لاخذ ذلك منهم وظفرهم به . وقد علمت ان بعضهم قال لبعض في حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فاكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها " والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب ان نحارب على هذا " فحاربوا امة نجسة قذرة قد كانت طغت

على الله وتجبرت فسلط جل وعز عليهم من لم يفكروا فيه قط فقتلوهم واخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون ويسفكون الدمآء الزكية وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ينتقم بعضهم من بعض ومثل الانباط والاسقاط الذين لا خَلاقَ لهم قوم انما غذوا بالشقآء وربوا مع البقر في السواد ومثل لجوار الذين لا ادب لهم ولا حسنى ولا علم ولا معرفة . فحيث تكلموا بالعربية تنطقوا ببسط السنتهم واستعربوا عند انفسهم واستطالوا على الناس فاحدهم يدعي الاسلام قولا بلسانه وفي قلبه بعض من مرض يهوديته ومجوسيته فهو لا يعرف مَن خلقه ولو قيل له ما الحد الذي تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة لم يدرِ ولم يحسن ان يميز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه وانما هم كالانعام بل واضل سبيلا وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كل ريح ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كانوا عليه اولا مثل عبدة الاصنام والمجوسية واوساخ اليهود وسفلتهم الذين انما طلبوا التعزز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان وبسط السنتهم على ذوي الاقدار واولاد الاحرار واهل الحسنى والمعرفة واهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب ومثل اهل الريب وللخيانات ايضا وللجرائم الذين لم يكن يتهيا لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التي حرمها الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية الا بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة ومثل من اباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية فمال الى الدنيا ولذاتها وزخرفتها طلبا للعز القليل الزائل الفاني وشيكا الذاهب سريعا منها وطَرْحاً للكثير الدائم الباقي الذي لا

انقطاع له ولا زوال وهو في الآخرة فانحاز الى هذا القول وجعله سببا له
وسطا اوصله الى ما اراد اذ كان اقوى اسباب الدنيا يعبر متها ويعول
عليها التي جعل سلطانها باب المدخل اليها والسبيل الى ارتكاب
الكبائر والمعاصي فيها ومال ايضا الى هذه المقالة مَن جعلها متجرا
ومكتسبا لرزقه الذي قد كفاه ولقوته الذي قد فرغ له من الاهتمام
به والا فهل رايت اكرمك الله او بلغك ان مَن له بصيرة في الديانة
او علم او معرفة او تحصيل للامور او قرآءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد
صحيح او نظر في حكمة او مدعى فلسفة صحيح العقل والفكر انقاد
الى غير الديانة النصرانية وخرج منها جاحدا مقالته ناكرا معرفته
من غير سبب دنيوي دعاه الاضطرار اليه ليجرا بدينك وسلطانك
على ما يريد من ركوبه وما تنازعه اليه نفسه من الامور الخسيسة
التي كانت الديانة النصرانية تحظرها عليه وتمنعه من الدخول فيها
وتقبح له فعلها بل مَن لم يكن يتهيا له ذلك ولا يمكنه فعله دخل في
دين هو مطمئنّ فيه لما يريد من ذلك آمنا غير خائف تحت سلطان
هذه الدولة مظهرا متابعة اهلها على قولهم . فهذه اكرمك الله
اقوى اسباب هولآء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك واجتمعوا
معك على اعتقادك واكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسرون خلاف ما
يظهرونه فمنهم من يزدري على صاحبك في حسبه ونسبه ومنهم من
يسبه ويدعي في ذلك الكذب والبهتان ومنهم من يزعم ان غيره كان
احق بالامر منه ولكنه سبب له ذلك بالغلط وبعض يقول ان روح
القدس انقسم ثلثة اقسام فقسم كان في عيسى وقسم في موسى

وقسم في رحل آخر اذكره ذكره وان صاحبك خلو من ذلك فهولاء عندي اجهل البرية واشر من الزنادقة واردأ مذهبا منهم وهم يظهرون الاسلام ويفتخرون به في ظاهرهم وكل ذلك ليتعززوا بسلطان الدولة على النصارى السليمة قلوبهم المشبهين للحملان بين الذئاب الخاطفة كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذي اعلمهم بما هو مزمع ان يكون من امرهم . ولو اسهبتُ لأَصِفَ لك مقالات اصحابك ومعاذ الله ان يكونوا لك اصحابا بل هم اصحاب الشياطين وحزبه وشيعته واولياؤه وما يروونه من الاحاديث الكاذبة الشنيعة التي تكاد تخرّ الجبال منها للفرية التي فيها على الله جل ذكره اولا ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الاباطيل ويشنعون عليه به من الكذب الذي لم يخلق الله له اصلاً وصاحبك بريءٌ منه كله لطال كتابي بذكره . فما قولك في من يروي عنهم انهم يقولون لربما هوينا امرا فوضعنا فيه حديثا وما اظنك ممن يروي ان الله جل وعز عمّا يفترون بعث الى ابي بكر يقول " يا ابا بكر اما انا فراض عنك فهل انت راض عني" فحسبك بهذا دليلاً على فريتهم على الله جل وعز وكذبهم وتشنيعهم وكم مثل هذه الاحاديث قد زوروها والفوا عليها فلعمري لقد صدق صاحبك حيث قال انه ما من نبي الا وقد كذبت عليه امته وان امتي ستكذب عليّ ايضا ولكني لا اعرف امة كذبت على نبيها كذب اليهود وما ادري ما اقول في هولاءَ وفي كذبهم . واما الخلاف في الآذان والتكبير على الجنائز والتشهد وصلوة الاعياد وتكبير التشريق ووجوه القرآت ووجوه النسيء والفتيا وما اشبه ذلك فانه امر يطول

خبرة جدا ولولا انني اعلم انك الرجل الذي قد فتشت احاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لك مجاريها لكتبت اليك في هذا الفن اشياء يطول الخطب فيها لكي اعرفك عالما بجميعها غير مشك في ذلك وقد سترت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الاسلام والتحلي به والاعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وانبيائه ورسله واوليائه وعباده الصالحين وما يكتمون من النفاق ويظهرون انهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم وهم الدغلون الغاشون لله جل ذكره ولانبيائه ورسله اذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الاحاديث فكيف لا تاخذهم الرجفة وكيف لا تطبق عليهم السماء بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ولكنه جل وعز لم يزل مستعملا طول الاناءة والامهال لانه جل اسمه لا يخاف الفوت وهم اليه يرجعون فهو يمهلهم الى يوم تنكشف فيه الستور ونعوذ بالله ان نكون من القوم الظالمين . وأما قولك اصلحك الله انه مكتوب على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فلقد كثر تعجبي منك كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقة عقلك وصحة مكرك وكيف امكن ان تتصور مثل هذا في عقلك انه صحيح حتى ترويه وتكتب به الى مثلي من اهل اليقين ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار وجوابك في هذا عندي مما يتمثل به العامة انك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك لانك في حكمتك لم تترك شيئا للمشبهة اليهود الذين يحدون الله ربهم انه جالس على عرش فلم ترض ان اجلسته على عرش محدود حتى تكتب على العرش اسمه واسم آخر من خلقه ليت شعري أهو كتب

ذلك الكتاب ام كُتِب له ولَم كتب ذلك الفسه لئلا ينسى اسمه ام لتعرفه الملآئكة فقد كانت عرفته الملائكة حين اراد خلق النور فقال ليكن النور فكان النور وعند ذلك مدحته وسبحته قائلة سبحان خالق النور وعلمت انها مخلوقة وان لها خالقا فتلك المعرفة في الملآئكة قائمة غير زائلة بانه خالقها وليس لها حاجة الى ان يكون لها كتاب نصب اعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها وهي تسبح اسمه وتقدسه من غير فتور ولا انقطاع وتنفذ امره جل وعز في كل لحظة وان كان انما كتب ذلك للناس فهم غير منتفعين به لانهم لم يروا ذلك العرش ولا قراوا ما عليه من الكتابة . فان قلت ان ذلك كتب ليقرأ يوم القيامة فاقم لنا دليلاً وبرهانا على ذلك صحيحا مقنعا على انك تعلم ان الناس كلهم يوم القيامة يعطون المعرفة الكاملة بخالقهم وتبطل في ذلك الوقت الشكوك وتضمحل الظنون كلها ويحصلوا على اليقين الصحيح يوم لا ريب فيه يوم تجزى كل نفس بما كسبت فلها شغل بما هي فيه فقد هدر قولك وتهافت دعواك ان على العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله وبعد فلم أَرَ احداً من اصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رايك بل كلهم واكثرهم الراسخون في العلم يبطلونه ويردونه أَشَدَّ رَدٍّ ويكذبون به اعظم تكذيب وانه محال لم يأتِ ذكره في الاثر ولا له في كتابك الذي زعمت انه منزل من عند الله عز وجل ذكر البتة فليت شعري من اين جئتنا انت به بل اخاف يرحمك الله ان تكون اخذته من سماجات اليهود فان لهم مثل هذا وشبهه من التشنيعات التي قد وضعوها ودسوها اليكم

بلطيف حيلهم ورقة كيدهم في الادغال طلبا للمعائب والمكايدة والقاء الشرور بين الناس فان صدقت نفسك اصلحك الله علمت حقًّا ان هذا محال لا معنى له ولا منفعة وان الله في حكمته لا يفعل المحال وما ليس له معنى وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام خطيبا فيكم يبالغ في دعآئه ويظن في نفسه انه قد بلغ الغاية القصوى في خطبته فيفتتح كلامه قائلا " اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم" فاراك ابقاك الله ظننت انك قد بالغت له في الدعآء والصلوة عليه اذ تمنيت له وطلبت متشفعا ان يصير مثل ابراهيم او كاحد آل ابراهيم فهذا اصلحك الله نهاية الشناعة ان رجلا اسمه مع اسم الله جل ذكره وتقدست اسمآؤه مكتوب على العرش من نور وان آدم بل الدنيا كلها انما خلقت بسببه كزعمكم تتمنى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمت واكره ذكر اسمه في هذا الموضع وكتابك الذي تزعم انه منزل من السمآء يشهد ويكرر الشهادة في عدة مواضع قائلا "يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين" (بقرة ٤٧) فقد وجب عليك في هذا القول ان بني اسرائيل افضل منك وممن ذكرته بالفضائل وانما كان عهدي بمثل هذه الشناعات من جهة اليهود ولم اظن عقلآء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه وجوابنا لك ارشدك الله في الماضي والمستانف من كتابنا هذا على قدر ما يحتمل من الكلام على انّا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك اساسا لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطة والبذخ والتفاخر بالانساب لانّا اذا حصلنا على

العلم بانفسنا وصدقناها عرفنا انه ليس لاحد على صاحبه فضل في النسب واننا نرجع الى اب واحد وام واحدة وجميعنا خلقنا من طينة واحدة ليس لحم اطيب من لحم ولا دم اطيب من دم وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم ولقد احسن عندي القائل قيمة كل امرءٍ ما يحسن من علمه وعمله واني كثيرا ما استصوب هذا الكلام من قائله وانما ادخلت هذا القول في هذا الموضع وان كان ليس من جنس ما نحن بصدده حتى اذا نظر في كتابي ناظر متعنت ينظر بعين العماهية والجهالة التي ثمرتها الحسد لا يسبق الى قلبه لضعفه وركاكته اني لم اكن عارفا من حقكم اهل البيت ما اعرفه واوجب ما اوجبه فكيف وانا معتقد ذلك بجميع ذرية ادم ولكنني استعملت ما قاله بعض الحكمآء ان ترك الجواب في موضعه عيٌّ وظلم للعقل فكرهت ان اكون ظالما لعقلي ولم التفت الى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت كلامه ورآء ظهري بل لم اتوهمه الا عدوا فضلاً عن التفاتي اليه . واما ما دعوتني اليه من الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان فالجواب في ذلك اقرارك بلسانك في كتابك وما خططته باصابعك من امر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا فقد رايتَ ذلك معاينة وسمعتَهُ وشاهدتَ تلك الامور الالهية المخالفة ما دعوتني اليه من الامور المبهرجة المدلسة فاكتف اكرمك الله بما رايت وليكن لك دليلا وجوابا فلست اجيبك في هذا باكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك . واما قولك ان نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سنة ابينا ابراهيم فجوابك قول المسيح الرب

لليهود وقد قالوا له لم لا يغتسل تلاميذك ماجابهم الروح المحيي مخلص العالم وما الذي يغني عن البيت المظلم ان يكون في ظاهره مصباح يتقد وباطنه مظلم وانما يجب ان تغسل النيات والقلوب من دنس الفكر وغل الخطايا الدنسة الرجسة فاما ظاهر الابدان فما معنى العناية فى تنظيفها فيا ايها المرآؤون الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج وفي داخلها الجيف المنتنة كذلك انتم تغسلون ظاهر ابدانكم وقلوبكم دنسة نجسة بالاثام وما معنى غسل اليدين والرجلين والقيام على الصلوة وعقد القلوب والنيات والضمائر على قتل الناس وسلب اموالهم وسبي ذراريهم . فانظر أصلحك الله كيف اجابهم السيد المسيح انما ينبغي للانسان اولا ان يغسل داخل قلبه ويطهره من الافكار الرديئة المودية الى الشرور والى ادخال المكروه على الناس واذا نظفتْ نيته وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الرديء حينئذٍ يغسل ظاهر بدنه بالماء . فميز هذا القول اصلحك الله وانظر فيه بعقلك أليس هو قول مقنع وجواب شاف . واما الختان فينبغي لك اولا ان تعلم قصته ثم تحث الناس على ذلك وان يمتثلوا سنة ابراهيم ابيهم فاقول ان الله جل اسمه لما كان مزمعا ان يدخل بني اسرائيل الذين هم ولد ابراهيم ارض مصر ولم يزل عالما ان الشره سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي قد حرمها عليهم ونجس اهلها جعل هذا سببا لمن اراد ارتكاب الفاحشة من امراة مصرية نظرت الى هذه العلامة التي في جسده وهي الختان فامتنعت ولم تواته فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة فكيف تحث الناس

على الختان وانت تعلم ان صاحبك لم يختتن كزعم اهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه انه لم يكن مختونا بتة لانهم شبهوه كما ادعوا له ذلك انه كآدم ابي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن ابي صفوان وهذا خبر ليس احد من اصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشك في صحته . فان قلت ان المسيح قد اختتن قلنا لك قد اختتن لاقامة سنة التورية لئلا يرى انه استخف او نقص شيئا من سننها ثم اكد ذلك بقوله "لم آت لانقص بل لاتمم واكمل" (متى ٥) وكذلك قال رسول الحق بولس ان كنتم انما تختتنون لان المسيح اختتن فان ذلك لا ينفعكم شيئا ولا الغرلة ايضا تضر شيئا مع الايمان الصحيح والقلب السليم النقي والا فيجب عليك ايضا ان تقرب القرابين وتحفظ السبت وتعمل الفصح وتقيم شرائع التورية كلها كما اقامها المسيح سيدنا فانه فعل ذلك ورفعه عنا واكمله واتمه بفعله اياه وكفانا مؤونة العمل بشيء منه واغنانا بسننه الحسنة الالهية وشرائعه الروحانية التي دفعها الينا عن السنن التي شهد جل وعز على لسان نبيه قائلا اني اعطيتكم يعني بني اسرائيل سننا ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا ان تحيوا بها . فان انصفتنا علمت ان الختان ليس هو عليك فريضة واجبة لان كتابك الذي تدعي ان فيه شرائع ديانتك يذكر ان ليس الختان شريعة واجبة وانما هو سنة من شاء استحسنها وعمل بها ومن شاء استشنعها ولم يعمل بها ومن اختتن من اصحابنا واسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة فليس يفعل ذلك لانه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل له الا القيام بها بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند

اهل الزمان والتشبه باهل دهره الذي هو مقيم بين اظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير لِعِلْمِنَا ان من تغوط كان احق ان يفيض عليه المآء السابغ بالغسل بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة وقبح المنظر بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة بل يتولد منها انسان كامل المعرفة والعقل والعلم يكون منه النبي المرسل والملك المسلط والحكيم الناقد والعبد الصالح المسبح لله ليلا ونهارا وكذلك يفعل من اجتنب منا اكل لحم الخنزير كاجتنابه اكل لحوم الحمير والجمال لان ذلك غير محرم عليه لان الله لم يخلق شيئا قبيحا كقوله جل اسمه في التورية على لسان موسى نبيه في سفر الخليقة " فنظر الله الى جميع ماخلقه فرآه حسنا جدا " فالله تبارك وتعالى استحسن كل ما خلق أَفاجتريءُ انا واقول عن شيء خلقه انه قبيح او حرام اذن اكون معاندا لله مقاوما ما خلقه واستحسنه ومعاذ الله ان اكون لربي معاندا بل كل ما خلقه الله مما تقبله نفسي ويجوز لي في طبيعتي اكله فهو مطلق لي ولجميع ولد آدم غير اكل الدم والميتة وما ذبح للاصنام فانه نزل في تحريمه امر من الله نص والسبب في تحريم الخنزير والجمل وغيرهما مما حرم على بني اسرائيل اكله فذلك انما حرم عليهم لعلة معروفة مشهورة لانهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا الى اهل مصر يعبدون الاصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم الا ترى كيف اجاب موسى فرعون قائلا له لن يجوز ان نقرب لله قرابين تجاه المصريين لاننا انما نريد ان نقرب القرابين التي يعبدونها وهي آلهتهم فاذا فعلنا ذلك بين ايديهم لم نومن انهم

يرجموننا اذا قربنا آلهتهم وذبحناها فدل بهذا القول ان اهل مصر
كانوا يعبدون الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ودليل آخر ان موسى
حيث اقام في طور سيناء وثب بنو اسرائيل على هارون اخيه قائلين
له اتخذ لنا الهاً نعبده فان موسى قد ابطا علينا ولا نعلم حاله وانما
اتخذ لهم صنما على صورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة
اهل مصر مثله فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم ويقربون
لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما اشبه
ذلك من الاشياء التي هي عندهم اخس في الخلقة من خلقة آلهتهم
فحيث امر الله موسى بالقرابين امره ان يقرب له من الثيران والبقر
وسائر الغنم لا غير ذلك وامر ان ينجس الخنزير والجمل والحمار والفرس
ليعلموا ان هذه نجسة في اكلهم اياها فضلا عن تقريبها لي اذ كان
المصريون يقربونها لآلهتهم بل كلوا لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر
الغنم التي كانت آلهة عند اولئك وقربوا لي منها وتجنبوا اكل الخنزير
والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ولاتقربوا لي شيئا منها اصلا
لانها نجسة غير زكية لذلك السبب فزهدهم في عبادة الثيران والغنم
والكباش والبقر باطلاقه لهم اكل لحومها وتقريب القرابين منها
وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ونفرهم
منها بانه صيرها نجسة غير زكية ولم يطلق القربان منها فحذرهم من
عبادة الجميع بالقانونين جميعا فليس الحرام والنجاسة ان يوكل لحم
الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمل والحمار والفرس
بل الحرام والنجاسة ان نعبد هذه ونتخذها آلهة من دونه جل وعز فاما

من لم يعبدها ولم يكن اعتقاده انها آلهة او قرب منها شيئا للاصنام فليس ذلك بحرام عليه ولا بالنجس عنده ومأكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفرس حلال ورزق من الله طيب يأكله الانسان مطلقا ما لم تعفه نفسه او ينفر منه طبعه فان ترك اكل الجميع او بعضه فذلك البتة لا لوم عليه فيه فاما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها واطلاق اكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي أتى به صاحبك فالسبب فيه من ذينك اليهوديين عبد الله بن سلام ووهب بن منبه اللذين افسدا الدنيا واهلكا الامة] وصاحبك بريء من هذا كله . فاما خفض النسآء فالقصة فيه ان سارة زوج ابراهيم لما رات اعجاب ابراهيم بهاجر امتها المصرية حين وهبتها له واطلقت له ان يطاها لحقها ما يلحق النساء من الغيرة على ازواجهن فخفضت امتها بيدها ارادت التشويه بها وان تهتك الموضع الذي توهمت ان ابراهيم يعجب به منها فكان ذلك على جهة ايقاع العيب بهاجر امتها والتشفي منها فلما صارت هاجر الى بلد تهامة وتزويج اسماعيل عمدت الى امراته فخفضتها لئلا تعيرها بذلك واوهمتها انها سنة لابراهيم فعندما ولد لاسماعيل ولد عمد الي الذكور من ولده وولد ولده واقام فيهم سنة ابراهيم وعمدت امرأة اسماعيل الى الاناث من اولادهم فخفضتهن واقامت فيهن العلامة التي ورثتها من هاجر على انها سنة كالختان للذكور والدليل على ذلك انه لم ينزل فيه امر ولا نهي ولا جرى له ذكر في شيء من الكتب المنزلة وانما عملت به العرب على حسب ما جرت به سنة

البلد ولولا ان الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت عن هذه الامور اذ كنت انا ايضا من ولد اسماعيل منتميا اليه لكني رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرف به وافتخر بمكاني منه وارغب الى الله في اماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانه غاية املي ورجاي الذي ارجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السمآء والخلود فيها بفضله واحسانه وسعة رحمته . واما دعواك لي بالحج الى بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام فسبحان الله ما اعظم هذا الكلام لقد جئت بامر فَرِيٍّ كانك تكلم صبيا او تخاطب غبيا او تجادل عيبا فليت شعري أَلَيْسَ هو الموضع الذي عرفناه جميعا حق معرفته ووقفنا على اصول اسبابه وكيف كانت القصة في ثباته وكيف جرى امره الى هذه الغاية أَوَلَا تعلم ان هذا فعل الشمسية والبراهمة الذي يسمونه النسك لاصنامهم بالهند فانهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم من الحلق والتعري الذي يسمونه الاحرام والطواف ببيوت اصنامهم الى هذا الوقت على هذه الحالة فلم تزد عليه انت شيئا ولا نَقَّصْتَ منه ذَرَّة فانك اخذته بذلك الفعل الذي سميته النسك متمسكا بتلك العادة محتذيا تلك السبل الا انك تفعله في السنة مرة واحدة في وقت مختلف واولئك يفعلونه في السنة مرتين في دفعتين معروفتين عند دخول الشمس اول دقيقة من الحمل وهو الربيع وفي دخولها اول دقيقة من الميزان وهو الخريف ففي الاول لدخول الصيف وفي

الثاني لدخول الشتآء فهم يُضَحُّون كما تضحي انت وينسكون كنسكك
لاصنامهم وانذارهم فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات
واعمالك تلك الاعجوبات وانت واصحابك عالمون ان العرب كانت
تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الافعال في قديم الزمان منذ بُنِيَتْ
هذا البيت فلما جآء صاحبك بالاسلام لم تَرَهُ زاد في هذه الافعال ولا
نقص منها شيئا غير انه لبعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة
جعله حَجَّةً واحدة في السنة واسقط من التلبية ما كان فيه شناعة
والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشمسية والبراهمية ببلاد
الهند الى هذه الغاية وتنسك فيها لاصنامها . واني لاستصوب قولا
لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال والله لاعلم انكما
حَجَرَان لا تنفعان ولا تضران ولكني رايت رسول الله يقبلكما فانا
اقبلكما كذلك فان كان الرواة الصادقون الذين رووا هذه الرواية
عنه كذبوا عليه او لم يكذبوا فقد صدقوا في ما حكوه عن هذين
الحجرين وان كانوا صدقوا عنه انه قال ذلك فلقد قال قولا حقا فكيفما
اردت القول ايها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق . فاما ما يريد
العائب ان يعيب به من يحلق شعر راسه ويتعرى ويعدو ويرمي
بالجمرات فهذا فعل من قد غرب عقله وانكر فهمه ومن يتخبطه
الشيطان فقد نجد مساغا للعيب وموضعا للثلب ولقد احتججنا لكم عند
من قبلكم بهذا وقلنا انما يفعلونه من جهة التعبد وليس في التعبد
عيب فاجابنا ان الله جل وعز حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة
الشنعة التي تنفر الطباع منها ويستسمجها العقل بل بالسنن التي

يستحسنها العقل ويفضلها اعني السنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده ان يدينوا له بها ويتقربوا باقامتها اليه والا فما انكاركم على المجوس الانجاس حيث نكحت الامهات والبنات والاخوات وتطهرت بالبول المعتق واوقفت النسآء امام الموابذة حتى ينضحوا البول المعتق على فروجهن بعد الولادة فان كان هذا قبيحا في التعبد فما انتم فاعلوه من الحلق والتعري والرمي بالحجارة والهرولة اقبح واقبح من هذا كله ما جآء في ذكر الطلاق ونكاح المراة رجلاً آخر يسمى الاستحلال وان يذوق من عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مراجعة الرجل الاول بعد ذلك هذا وقد يكون لها اولاد رجال نبل وبنات نسآء كبار ذوات بيوت والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير وتكون هي المراة النبيلة في قومها المشار اليها في عشيرتها البهية في اهلها ذات المجد والبيت الرفيع فهذا اقبح واشنع من فعل المجوس الاقذار الانجاس وان كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة . فهل ترى اصلحك الله ورضي عنك ان تدعوني الى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله فاني اظن بغير شك انها لو سُئلَتْ فاذن لها في النطق لاخبرتنا بقبيح هذه الافعال واستشناعها اياها واعلمتنا لو اجبنا الى دعوتك انّا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا واعوذ بالله ان اكون من القوم الظالمين . واما قولك انك تنظر الى حرم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة فقد صدقتَ اكرمك الله في قولك انها مواضع عجيبة واي عجب اعجب من تلك المواضع عند ذوي العقول والتمييز التي يرتكب

فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتمييز الذي فضل الله به الانسان على سائر البهائم وانعم به عليه . واما قولك انها مواضع مباركة فخبرني ما الذي صح عندك من بركتها ايُّ مريض مضى اليها فبرىء من مرضه او ايُّ زمنٍ قصدها فنهض من زمانته او ايُّ ابرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه او ايُّ اعمى صيرته الى تلك البقعة فانفتحت عيناه او ايُّ مخبط من الشيطان حمل الى ذلك البلد فرجع صحيحا سليما فما اظنك ابقاك الله بل كيف اظنك وحدك ولا اجد احدا ممن يتقلد مقالتك او يرى رايك يجتريُّ ان يفكر في مثل هذا ويقول ان مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك فضلا عن ان يدلنا على احد يومى اليه انه كان عوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها . وكيف اقول وانت واهل ملتك ونسلك الذي تفخر به وبحجك اليه ليس احد على وجه الارض ممن يَضُمُّهُ هذا الفلك المحيط يقدر ان يدعي شيئا مما طالبناك به او يصح في يديه الا من انتحل الملة النصرانية . فهذا امر قاطع فيك وفي غيرك من جميع اهل الاديان والملل فما معنى اضافتك ذكر البركة والتشريف ولحاقك ذلك في هذه المواضع وانما عرفنا البركات تحل في المواضع التي يُعْبَدُ الله فيها حق عبادته وياويها الابرار الصالحون الاتقياء الذين قد وهبوا انفسهم لله فهم في طاعته دائبون ليلهم ونهارهم لا يفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل قد رفضوا الدنيا وخلوها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشي من امرها فهم احق بان تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الاشفية والعوافي على ايديهم واذا سالوه تعالى

اعطاهم واذا طلبوا انجح طلبتهم واذا تشفعوا اليه شفّعهم واذا دعوه اجابهم لان موعده لايخلف فيه ولا يضيع عنده اجر المحسنين وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبي "يطلب الابرار فيجدون" وقال في موضع اخر" الرب قريب ممن يدعوه بالحق وباقي مسرة اتقيائه ويسمع دعاءهم فيخلصهم والرب يحفظ جميع من يخشاه (مزامير ٣٤ و ١٤٥)" وَاكَّدَ هذا القول الرب المسيح في انجيله المقدس بقوله اسألوا تُعطَوا اطلبوا تجدوا ثم قال في موضع آخر" ايّما رجلان منكما يتفقان على مسألة امر ما من الامور باسمي فانهما يعطياها من ابي الذي في السموات" (متى ١٨) فقد انجز موعده وحقق قوله وصدق ما جاء به من النور والهدى في انجيله فليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بايمان صحيح ونية صادقة وقلب سليم من اولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر الا فرج عنه همه وغمه وكربه وكفى مؤونة حزنه ونزلت له العافية والشفاء من الله بواسطة اوليائه وبركة دعاء الصالحين عباده لانه طلب الامر من جهته وسأل حاجته من الناحية التي تُسأل الحوائج منها فهذه الديارات العامرة بالبيع وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم ويأوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض على جميع من صار اليها وقصدها باخلاص نيته وسلامة قلبه واسترسال الى من يسكنها وتصديق لما في ايدي من يطلب منه ذلك فيفا لا يطلب من احد ثمنا ولا مكافاة ولا ينال على ذلك جزاءً ولا شكرا لان السيد المسيح مخلص العالم قال في انجيله الطاهر" مجانا

اخذتم مجانا اعطوا ولا تاخذوا ذهبا ولا فضة (متى ١٠) فهم حافظون لوصيته تابعون امره مقتفون اثره وهو جل ذكره راع يسمع دعاءهم ويوتي البركات وينزل الرحمة والاشفية على ايديهم للناس كافة الا من عاند الحق وارتد خائبا وصد معرضا عن التقوى فانه يخيب ويخسر على انه ان رجع قبل كما يقبل الاب الابن الحبيب الذي نظير الضالة يشرد عن بيت ابيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادما تائبا عارفا بما يجب عليه من الحق اللازم له مقرا بخطيئته متنصلا من ذنبه متخذلا ذليلا لما جنى من نكوصه وشره فتتلقاه رحمة ابيه فتقبله حقّ القبول ويسرّ بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته واوبته ولا يواخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صباه ثم يقول له انك انت كنت ميتاً فعشت وضالا فاهتديت ومستغويا فرشدت .

فميز اصلحك الله الامرين ولا تتداخلنَّك الحميَّة فانها ثمرة كيد الشيطان ان الشيطان كان للانسان عدوا فهل ترى لي يرحمك الله ان أدَعَ ما في يدي من هذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرها التي تغبطني الملائكة عليها فضلا عن بني البشر من ذرية آدم وما كانت الانبياء والملوك والابرار تسترجاه وتتوق انفسها اليه وآخُذَ بما كَتَبْتَ به اليَّ مما يانف منه طبعي وياباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه ما اظنني اكون اذا فعلتُ ذلك لنفسي من الناصحين . ثم قُلْتَ ادعوك الى سبيل الله الذي هو غزو المخالفين والكفرة المنافقين وقتال المشركين ضربا بالسيف وسلبا وسبيا حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله او يؤدّوا الجزية

عن يد وهم صاغرون فهل اردتّ ابقاك الله العاقل المحكيم ان تدعوني الى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة الذي انما افرغ حسده لآدم وذريته في شرذمة منهم استغواهم فافرغ فيهم غيظه وملاهم حنقه وحدّته وجعلهم سلاحا له واولياًء ينقادون لارادته ويبلغون مشيئته ويأتون مسرته وينتهون الى طاعته ومحبته في القتل والسلب والسبي فعرفني كيف اجمع بين قوليك وبين تباعدهما وانت القائل نقضاً لهذا في كتابك الذى تدعي انه منزل من عند الله "ولتكن منكم أمّةٌ يدعون الى الخير ويأمُرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر واولآئك هم المفلحون (ال عمران ١٠٠) ثم تكتب " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشآء (بقرة ٢٧٣)" ثم تزيد في هذا شيئا "ولو شآء ربك لآمَنَ من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله" (يونس ٩٩) افلا ترى كيف يناقضك هذا القول ثم تكتب " قُل يا ايُّها الناس قد جآءَكُمْ الحق من ربكم فمن اهتَدَى فانما يهتدي لنفسهِ ومن ضلَّ فانما يضلُّ عليها وما أَنَا عليكم بوكيل وَاتَّبِعْ ما يوحى اليك وَاصْبِرْ حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين" (يونس ١٠٨) ثم تكتب ايضاً في موضع آخر "ولو شآءَ رَبُّك لَجَعَلَ الناسَ أُمّةً واحدة ولا يزالون مختلفين اِلَّا مَنْ رَحَمَ رَبُّكَ ولذلك خَلَقَهُمْ" (هود ١٢٠) ثم تكتب تاكيدا لهذا القول عن صاحبك انه "بعث بالرحمة للناس كافة" فايّ رحمة مع القتل والسبي والسلب واني لكثيرا ما اتذكر بعض اليهود اذ يسمي كتابك ناقض نفسه فانا لا اسمي كتابك بهذا

الاسم الشنيع بل اسمي كلامك فانه حقا مناقض نفسه آلا فانت مُدّع
ما انت دائب تدعي ثم ترجع الى نفسك وتنقض كلامك لكنني
اسالك ان تخبرني عن سُبُل الشيطان هل هي الا القتل والسفك
والنلب والسبي والسرقه اتقدر انت او غيرك ان تقول في هذا انه
ليس كما كتبتُ اليك فان احتججت علينا بموسى نجيّ الله تبارك
وتعالى انه قاتل الكفار وعبدة الاصنام قلنا لك اذكر أصلحك الله ما
قراته في التورية كم من اعجوبة وكم من آية فعلها موسى حتى
صدقناه ان الذي اتاه من الحرب وقتال عبدة الاصنام كان عن امر
الله وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر فوقفا له
وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها الا من كان من اولياء الله
جل وعز فايّةُ آية تقدر انت على ذكرها او ايّةُ اعجوبة تخبرنا ان
صاحبك جاء بها مقدمة تكون شاهدة له يجب علينا بها تحقيق قوله
وتصديق ما جاءنا به وخاصّةً قتل الناس بامره وان يسلبهم اموالهم
ويسبي ذراريهم ويقصد بذلك قوما هم اولياء الله المعتصمون بعبادته
القائمون بفرائضه وسننه وقد بذلوا مهجهم في دينه وآمنوا بمسيحه واتقوه
حق تقاته فهداهم الى الحق المستقيم فوجوههم مضيئة في الدنيا
والآخرة . ثم لم يقنعك حتى سمّيتَهُ سبيل الله فحاشا لله جل وعز ان
يكون هذا سبيله او يكون اسرف شيئا من هذه المآثم احد من اوليائه
او من اهل طاعته لان الله جل وعز لا يحب عمل المفسدين وكيف
اقول في تناقض هذا الامر وتضاده اذ تكتب " لا اكراه في الدين "
وتزعم ان الله تبارك وتعالى قد قال " وقلْ للذين أوتوا الكتاب

والاميين آأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" (آل عمران ١٩) وانت الذي تقول "ولو شآء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جآءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شآء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد" (بقرة ٢٥٣) وانت الذي تقول "قل يا ايها الكافرون" ثم تختم ذلك فتقول "لكم دينكم ولي دينِ" (الكافرين) وتقول "ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن" (عنكبوت ٤٥) ثم انت تحث على قتل الناس ضربا بالسيف وسلبا وسبيا حتى يدخلوا في دين الله كرها وقهرا وكيف اصنع بك وبايّ قوليك آآخذُ أبالاول ام بالثاني فندخل على قولك انه ناسخ ومنسوخ فانك الذي تدعيه هذا وان ادعيته لم تلحق معرفته لانك لا تدري ايهما الناسخ ولا ايهما المنسوخ فلعل الناسخ هو الذي عندك المنسوخ وكذلك ينعكس عليك القول فيه ان الذي هو عندك المنسوخ هو الناسخ فاذ قد اقررت بالجهل بهذا وانك لم تحط معرفة به ولم تثبت له عندك حجة ولا تقدر ان تقيم فيه برهانا صحيحا عند من يطالبك بالبرهان الصحيح فليس بك ولا بنا حاجة الى ذكره . فقد خلصنا منك الان على انك خالفت نفسك وابطلت قولك ودحضت حجتك ونقضت شرطك في انك ادعيت ان صاحبك بعث بالرحمة والرأفة الى الناس كافة وان لا اكراه في الدين وفي قولك ان تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا في دينك كرها ويقولوا بقولك قسرا ويشهدوا بشهادتك قهرا . فاذا كنا الى هذه الغاية لم نقف

بعد هذا كله على صدق احد قوليك ولم نقدر على تحقيق احدهما
بان نفرق بين الحق منهما والباطل وايهما المنزل والماخوذ به وجب
عليك من هذه المقدمات ان تكون النتيجة في ذلك ان القولين كليهما
باطلان غير محققين لان الذي هو عندك حق يجب ان يعمل به لعله
هو الباطل المتروك الذي لا يجب ان يوخذ به ولا يعمل عليه وأن
الله جل ثناؤه لم يامر ولا بشيء منهما فهل بلغك يرحمك الله او قرات
في شيءٍ من الكتب المنزلة او غيرها ان احدا من الدعاة استجلب
الناس الى مقالته ودعاهم الى الاقرار بما جاءَ به قهرا وكرها او ضربا
بالسيف وتهديدا بالسلب والسبي غير صاحبك فقد عرفت قصة موسى
وما اتى به من الآيات المعجبة وقرات اقاصيص الانبياءِ بعده وما
فعلوا وكان ذلك محققا وشاهدا لما جاؤوا به انه من عند الله . وقد
هذرت المجوس الانجاس في ما ادعت وزعمت عن زاردشت انه
حيث صار الى جبل سيلان نزل عليه الوحي هناك فحينئذ دعا
كشتاسف الملك ودعاهم فاجابوه واذعنوا له حيث اراهم بسحره
ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتنع في الطباع مثل الفرس
الذي احياه بعد موته ومثل ذلك الهذيان اتى به من باب الزمزمة
الذي زعم انه يشتمل على كل لسان وجمع فيه كلام اكمل لغة
نطق بها الآدميون وكتبه في اثنى عشر الف جلد من جلود
الجواميس وسماه زندوستا اي كتاب الدين فهم اذا سئلوا عن
تفسيره انكروا معرفته واقروا بجهله وكذلك فعل البد بالهند حيث
اراهم زعموا عنقاءَ مغرب وفي بطنها جارية وهي تهتف بهم وتخبرهم

ان الد صنم محق في كل ما دعاهم اليه وخبرهم به . فهذه بعض اخبار المستحسنين وخدعهم فهل تجد اكرمك الله احدا من الدعاة الذين دعوا الى حق او باطل الا وقد جآء بحجة اودليل صحيح بان ذلك امر بيّن وهو مموه في الظاهر ممتزج الى ان يدخل في ميزان المحنة فحينئذ يتبين عند العيان صحته من خبثه وكذلك فعل كل ذي دعوة باهل دعوته غير صاحبك فانا لم نره دعا الناس الا بالسيف وبالسلب والسبي والاخراج من الديار ولم نسمع برجل غيره جآء فقال من لم يقر بنبوتي واني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذرته من غير حجة ولا برهان . فاما المسيح سيد البشر ومحيي العالم فيتعالى ذكره ويجل قدره ان تذكر دعوته في مثل هذا الموضع وانت عالم بالقصة كيف كانت وكفى بعملك افرايته اصلحك الله من استخار لنفسه في مثل عقلك وادبك ان تدعو مثلي مع شدة امتحاني الامور وتحصيلي لها الى مثل ما دعوتني اليه وخاصّةً وانا اتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهاري وهو شعاري ودثاري واسمعه يقول " تفضّلوا على الناس جميعا وكونوا رحمآء كي تشبهوا اباكم الذي في السمآء فانه يشرق شمسه على الابرار والفجار ويحدر مطره على الاخيار والاشرار" (متى ٥) فكيف يظن بمثلي والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة وقد ربيت في هذه النعمة ونجحت بهذه البركة وجرت في اعضآءي وفي جسمي مع الدم دماً وفي عظامي مع المخ مخّاً ونشات في هذا الفجاج والرحمة ونبت لحمي وشعري عليها فحاشا ان يقسو قلبي واتمرد منشيطنا حتى اصير في صورة ابليس العدو القاتل

فاضرب واقتل ابنآء جنسي وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى والله جَلَّتْ قدرته هو القائل لَسْتُ احب موت الخاطيء لانه اليوم في خطاياه وغداً يتوب فاقبله كالاب الرحوم سيما وقد شرف الله سبحانه وتعالى النوع الانساني بان كلمته الخالقة تجسَّدَتْ منه واتحدت به واعطته ما لها من الربوبية والالوهية والسلطان والقدرة فصارت الملائكة تسجد له وتقدس اسمه وتسبح ذكره كما يسبح اسم الله وذكره ولا تفرق في ذلك بينهما ثم زيد نعمةً الى النعمة المتقدمة بان أُعطي الجلوس عن يمين ذي العزة تشريفا لذلك الجسد الماخوذ منا الذي هو من ذرية ابينا آدم فهو مثلنا واخونا في الطبيعة وخالقنا والهنا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة ثم دفع اليه تفضلا منه عليه واكراما له وانعاما جميع السلطان في السموات والارض وخوله تدبير الخلائق وصَيَّر البعث والنشور والدين اليه وان يحكم حكما نافذا جائزا على الملائكة والانس والشياطين افتريد يا حبيب ان انا أُضادَّ امر الله تبارك اسمه وأضربهم بالسيف واسلبهم واسبيهم ان هذا لجَورٌ على الله عز وجل وعناد لامره وظلم لنعمته وجحد لمعرفته وكفران لاحسانه وقلة شكر لفضله واعوذ بالله من خذلان الله وغضبه . فان قلت انه جل ذكره قد نراه يميتهم ويسلبهم بالاسقام والاوجاع فما يمنعك من التشبه به فاجيبك اصلحك الله احضر جواب واصح ليس كجوابك في الروح حيث سُئلتَ عن امر الروح فكان جوابك انه من امر الله وهو جواب لم يسمع السامعون بمثله اما نحن فنجيبك في هذا ونقول ان الله تبارك وتعالى انما يبتلي ويميت عباده لا لانه

يريد الاضرار بهم او عن بغض منه لهم ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وانما خلقهم جُودًا منه وتفضلا وانعاما عليهم اذ نقلهم من العدم الى الوجود واصارهم من لا كون الى كون لينقلهم من هذه الدنيا التي هي زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامة الى دار الخلود الباقية الدائمة الكاملة فلا يقال لمن نقل من مدينة خسيسة الى مدينة شريفة او من مدينة وضيعة الى مدينة رفيعة انه اراد بصاحبه سُوءًا وتعدّى عليه ظلما بل هو محسن متفضل اولا وآخرا وامّا قولك انه ابلاهم بالاسقام المولمة والاوجاع الموذية فجوابنا في هذا انه انما اراد بذلك ان نكون مستحقين الاجر والثواب وان يكون تبارك وتعالى مع تفضله عليهم ينالون ما ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم له فهو عز وجل متفضل عليهم في الحالتين جميعا كالطبيب الماهر المشفق الذي يشفي المريض بالادوية المرة الطعم المشيعة الرائحة وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الاعضاء من اجسادهم بالحديد وبعض يمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظرا منه واشفاقا عليهم أتقول انه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة بل انما يريد بذلك صلاحهم وصحة ابدانهم وانقاءهم من الاسقام والادواء الموذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التي هم فيها الى حال العافية وطيب العيش فان قلت قد كان يمكنه ان يتفضل عليهم ويأجرهم من غير ان يعذبهم بالاسقام والاوجاع قلنا لك وقد كان ايضا يمكنه ألّا يخلق الدنيا وكان يخلق الاخرة والجنة ويدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكنا في قدرته لكنه

خطا في التدبير لان المُتَعَقِّبَ كان يَتَعَقَّبُ فيقول لم يكن يمكنه ان يخلق الا خلقا واحدا فخلق عز وجل هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول مبيت لا نزول اقامة فينقلون منها الى دار الاقامة التي هي الغاية القصوى ليكون لهم فيها تَقِرَّةَ الخلود هذا هو الصواب في التدبير فخلقهم تبارك وتعالى جودا منه وابلاهم بالاسقام والاوجاع خِبْرَةً لهم في زمان منقطع زائل وحياة مفارقة ليجزيهم وياجرهم تفضلا منه عليهم واستحقاقا من ثوابهم واتماما للنعمة عندهم في تلك الدار التي لا زوال فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم فان كان وصاحبك هذا يرحمك الله الذي ادعيتَ له ما ادعيتَ ودعوتَنا الى اتباعه بما دعوتنا اليه انما يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه الى ما هو خير منه فقد لعمري نصح وتفضل واحسن وتشبه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه الخالق الجواد ولكنه ما فعل الذي فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكر فيه وما اراد الا نفع نفسه واصحابه واقامة دولته في العاجل والدليل على ذلك قوله حتى يُؤدُّوا الجزية عن يد وهم صاغرون . افلا ترى ايها المميز انه لم يرد بما فعل ان ينقلهم مما هو عنده انه شرك وكفر الى ما زعم انه الدين القويم نظرا منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه اراد بلوغ اربه وانفاذ مرامه وتوطيد سلطنه كما يفعل المتغلب هذا وهو يقول في كتابه الذي يدعي انه منزل "قل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد

اهتدوا وان تولّوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" الا ترى أصلحك الله انه اومر ان يقول ويبلغ بلسانه ونُهي عن القتل والسبي فامعن يرحمك الله في هذا الامر وميّز هذا التناقض وافهمه . ثم اعجب من هذا تسميتك من قتل من أصحابك شهدآء فهلّم نظرفي اخبار الذين قتلوا من أصحاب المسيح على عهد ملوك الفرس وغيرهم اهم كانوا مستحقين لاسم الشهادة ام أصحابك الذين يقتلون في طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها فقد بلغنا كيف صبر اولآئك ومسارعتهم الى بذل دمآئهم ومهجهم ودمآء اولادهم والخروج عن دنياهم ونعيمهم وكيف كانت نياتهم وصحة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه من دياناتهم وكانوا يسارعون الى ان يقربوا اجسادهم الى الذبح والقتل وانواع العذاب قربانا لله وقد كان يقتل الواحد فيتنصّر من ساعته في ذلك المكان المائة والاكثر والاقل فقتل في زمان من تلك الازمنة احد ملوك الروم المردة وقد لجّ في قتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض أصحابه ايها الملك انك انما تزيد فيهم من حيث تظن انك تنقص منهم فقال كيف ذلك فقيل له انك قتلت امس كذا وكذا فتنصر أضعاف هذا العدد فقال وما السبب في هذا فقيل له أن القوم يقولون ان رجلا يطلع عليهم من السمآء فيشجعهم فعند ذلك امر ان يرفع عنهم السيف وكان هذا القول داعيا الى تنصر الملك ورجوعه عما كان عليه من الكفر وقتل اوليآء الله فانظر الى هولآء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين والاخلاص وجودة الايمان كيف لم يفتر ايمانهم والسيوف تاخذهم وكانوا يعذبون بانواع العذاب وهم على

ذلك محبون لما ينالهم غير ممتنعين فرحون مسرورون جذلون متيقنون انهم اذا اتوا ذلك فهم مقصرون عما في انفسهم من أدآء حق النعمة التي اوتوها من الدخول في الديانة النصرانية فيبذلون اجسادهم اختيارا كما بذلوها فمنهم من سُلِخ وهو حيٌّ ومنهم من قطعت اعضآوه وهو ينظر الى ذلك ومنهم من احرق بالنار ومنهم من القي للسباع وبعض نُشر جسده بالمنشار وهذا دائم ثابت في من ينتحل دين النصرانية ليس يخلو في وقت من الاوقات من ان يبذل نفسه للموت طوعا واختيارا ويرغب بها عن الحيوة وعن جميع ما يحويه العالم ونحن نعلم وانت وجميع من يقول بالحق انه ليس في دين من الاديان احد ياتي بمثل هذا الامر ويحمل نفسه عليه غير اهل هذه الشريعة اذ كان هولآء في العذاب الذي لا توصف شدته وهم في جميع ذلك على غاية التمسك بديانتهم وفي غاية الفرح بما ابتلوا حتى سئل واحد منهم وهو يُعذَّبُ عذابا شديدا وهو في حاله تلك يتلفت يمنة ويسرة ويضحك فقيل له ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وانت في ذلك العذاب آمَا كنتَ تجد الماً فاجاب ما كنتُ اجد الَمًا فيما كنت أُعَذَّبُ به وقد كنت في تَلَفُّتي ارى رجلا شابا بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدمآء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه وكنتُ اري ذلك العذاب كَأنَّهُ انما يقع بواحد من الذين يعذبونني فعلمنا انه كان صادقا في قوله والاَّ فما صَبَّرَهُ على تلك الشدة من العذاب وتَعَلَّمْ ان الله سبحانه وتعالى يصرف عنايته باهل طاعته ويُصَبِّرهم على الشدائد فان قلت لو

امر الله ذلك الملك الذي وكله بتشجيعه ومسح الدمآء من جروحه ان
يَصُدَّ عنه من كان متوليا تعذيبه فيكون سببا لتوبتهم ورجوعهم قلتُ
انتَ اصلحك الله تعلم ان الله جل ثنآؤه وتقدست اسمآؤه لو شآءَ ان
يجمع الناس كلهم على الايمان به ويجبرهم عليه لكان قادرا على ذلك .
غير انه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية
ليثيبهم او يعاقبهم على ما اكتسبوا لانفسهم لا على الذي يجبرهم
عليه هو ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله فلذلك
اظهر على يد هولآء في ذلك الزمان آياته وبراهينه ليستكملوا قبول
الدين وامسك عن الباقين ليظهر انهم مستطيعون ولو تابوا بذلك
السبب لم يكن لهم في ذلك اجر لانهم انما تابوا قهرا وقسرا ولكنه
تركهم حتى بلغوا ارادتهم ولم يغفل عن معونة اوليآئه ليظهر استطاعة
الحرية وثمرة العقل وجعل فكره في كيفية قبول الاولين لانه برهان
واضح وحجة لازمة ويجب على كل ذي لب اليقين بانه لم ينتقل
هولآء المختلفون في اجناسهم واهوآئهم واديانهم الى هذا الدين اذ خلا
من الخصال كلها الا بالآيات المعجبة ومع هذا فان قوة اصل تلك
الآيات قائمة باقية في اصل هذا الدين الى هذه الغاية نعاين آثارهم
بابصارنا ونسمعها بآذاننا ونعي منها بعقولنا من الجرائح التي تجري على
ايدي اصحابهم ورهبانهم واحبارهم من دفع الجنون والتخيل وابرآء
انواع الامراض في الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هولاء
الشهدآء الذين وصفنا احوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة
مستحقون لاسم الشهادة فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيها الجزء من

عظامهم فتكون منها هذه النعمة في كل موضع من المشرق والمغرب وبلاد الروم وارض الشام وبلاد فارس وارض الحبشة وجزائر البحر وامصار العراق وبلاد خراسان لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم ويلتجيء اليهم في هذا النحو وشبهه غير منكر لهم ذلك سوى بلاد صاحبك فانه من ذلك خلو صفر لانه لم يقع اليه من هولآء القوم ولا صار في ناحيته احد ممن يعبد هذا الدين غير الرجلين اللذين تعرفهما سرجيوس المسمى نسطوريوس ويوحنا المعروف ببحيرا ثم ليست هذه الفضيلة في شيءٍ من الاديان ولا يدعيها احد من اهل المقالات خلا دين النصرانية فان ذلك لهم ورثة قائمة فيهم الى هذه الغاية والى انقضآء الدنيا فايُّ دليل اوضح وايّ حجة اضوا وانور واسطع من هذه لطالب الحق . فهلم اكرمك الله ننظر في هذا الامر نظر نصفة ويقين واستقصآءٍ ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه ويعدل عن الهوى فمن هو اصلحك الله احق بان يسمى شهيدا ويشهد له انه قتل في سبيل الله أَمَنْ قَرَّبَ نفسه قربانا عن ديانته وقد قيل له اسجد للقمر والشمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الايدي واتخذها ارباباً لك من دون الله واترك عبادة الله وكلمته وروحه فَابَوْا ذلك وبذلوا مهجهم ودمآءهم واموالهم وحياتهم واهاليهم واولادهم ام مَنْ خرج طالبا للسلب والسرقة والغنيمة وسبي الذراري ونكاح الفروج التي هي محرمة وشنّ الغارات ثم يسمي ذلك جهاداً في سبيل الله ويقول من قَتَل اوقُتل فهو في الجنة فانصف ايها الحبيب فاننا رجلان تقدمنا اليك محكّمناك في الامر فايُّ حكم كنت تحكم اذا

انت آثرت الحق وترضيت العدل والنصفة فنقول ان لصاً ثقب منزل رجل ليسرقه فسقط عليه حائط او وقع في بئر او بادره صاحب البيت فضربه ضربة تلفت نفسه منها اَتَوْجِبُ لهذا اللص دية ما اظنك ايها القاضي تفعل ذلك فكيف توجب الجنة لمن مضى الى قوم آمنين مطمانين في مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه فسرقهم ونهبهم وساهم وقتلهم وفجر فيهم ثم لا يقنعك ذلك اذ فعلتهُ وتعود الى ربك نادماً على ذنبك مستغفرا تائبا عما كان منك بل تقول انه ان قتل او قُتل فهو في الجنة وتسميه شهيدا في سبيل الله فان انت حكمت بهذا فما حكم الشيطان الذي هو عدو آدم وذريته قديما الا دون حكمك على اني أعلم أن عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ولا يطلقانه لك وقد علمنا احاطك الله ما اشترطتهُ لنا من الصبر على الحجة اذا وردت بك اذ لم تكن منا المسالة وانما كان الابتداء في المبالغة في الحجة منك فقبلنا ذلك من قولك وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به الا وقد قصرنا لانّا لو كشفنا في هذا الفن من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا وكلامنا هذا انما هو جواب اقتضاه ابتداؤك واذا عدلتَ في القول علمتَ ان الامر كالنار التي تستكن في الحجر والحديد فكلما استقدحتها بزنادك استعرت اضطراما وقولي اكرمك الله لك في هذا ولغيرك ممن ينظر في كتابي هذا قول واحد . فاما ما دعوتني اليه وعددته من الامور الزائلة الفانية التي هي كاحلام النائم والبرق الخلب الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ونُبقي راجيه في الظلام مقيما لو كانت اشياء دائمة غير زائلة ولابثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية ومقيمة غير

منقطعة لما كان يجب على ذي راي ولا على ذي لب ان يرغب فيها ولا يميل اليها فكيف وهي مشاركة للخنازير والكلاب والتشبه بالحمير وسائر البهائم التي انما همتها الاكل والشرب والنوم وانما هذه الدنيا كلها لا قدر لها ولا قيمة عند ذي عقل اذ يعلم ان الامر فيها اسرع واعجل من ان يبقى على شيء واوشك ان يفنى ويضمحل في اسرع وقت وانما يميل الى مثل هذه الاوضاع من قد غلب عليه الشره في اخلاقه وطباعه ولا اظنك اكرمك الله عرفتني بالراغب في هذا وشبهه فليت شعري كيف اردت ان تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التي انما يميل اليها ويغتر بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم فاما المميزون الذين قد نظروا في الامور فانهم ابرياء من مثل ما ذكرتهُ وعددتهُ بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد في ان يدفعوا آفات ابدانهم التي لا قوام لهم الا بها ولو تهيأ لهم دفعها في الطبائع او كان ممكنا لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد ان يطلبوا الملك ويحتالوا للحيل بخلاف ذلك وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة فانت تزعم في كتابك " وما خلقتُ الجن والانس الا ليعبدون" (ذاريات ٥٦) . فلا اراك الا مناقضا لقولك لانك قلت انما خلقت للعبادة ثم تقول فتنقض وتهدم بناءك المتداعي وتقول " انكحوا ما طاب لكم من النسآء مثنى وثلاث ورباع" ومن الامآء "ما ملكت ايمانكم" وان ناكل ونشرب مثل البهائم التي لا خطر عليها من ناموس عقل ولا الزام سنة الكتاب . فاما باب الطلاق والاستحلال والمراجعة الذي احله صاحبك فلولا كراهية التطويل

لتلوت عليك ما قرع الله به اهله على لسان ارمياء النبي لكنك تعلم ما في هذا الامر من العيب والشناعة عند جميع الامم وسائر اهل الملل وكيف استقباحهم له وانكارهم اياه واني لأَنَهَى نفسي عن سفه المخاطبة فيه وترديد الذكر له وارفع قدر كتابي عن ادخال شيء من ذكره أنفًا منه وتنزيها لكتابي فهذا الجواب فيه . واما قولك فاكتب آمنا مطمئنا لا فرق ولا خائف انك لا تظلم ولا يتعدى عليك فان سيدنا المسيح مخلص العالم حيث شجعني في انجيله المقدس واعلمني ما هو عتيد ان يكون قال " لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس بل ينبغي لك ان تخاف ممن هو قادر ان يعذب الجسد والنفس معا في جهنم" فقد آمنت بقوله ان ليس لاحد على نفسي سلطان الا الذي خلق نفسي وخلق جسدي وقد زادني في ذلك امانا ما بسط الله من عدل سيدي امير المؤمنين وانصافه ورافته للضعيف الذي مثلي ممن يقرب من جوده ويعيش في ظل حمايته فانه قد شملنا عدله وعمنا انصافه ووسعتنا رحمته اثابه الله تعالى على ذلك واعطاه مأموله في نفسه وولده من امر دنياه واجاب صالح دعاي له بمنه .

واما قولك اصلحك الله ان هذا دينك القيم وهذه شريعتك وسنتك ومن ينتحل نحلتك واني اذا دخلتُ فيه وشهدتُ مثل شهادتك كنتُ مثلك وحسبي بك شرفا في الدنيا والآخرة فقد فهمت ذلك فاما دينك وشرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن اراد ان يمتحن ما ذكرته واما الشرف في الدنيا والآخرة فلعمري لقد اتاك الله في

هذه الدنيا للخلافة التي جعلها في اهل دينك فنساله تعالى ان يديم لك النعم ويبقي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا اهل البيت واما شرف الآخرة فلا يُعرف الا بالعمل الصالح وقد حكي عن صاحبك انه قال يا بني عبد مناف اني لستُ اغني عنكم شيئًا عند الله فلا تاتوني بالانساب ويانيني غيركم بالاعمال فان خيركم عند الله اتقاكم فان كان قال هذا فقد هذر شرف الآخرة الا بالعمل الصالح ولم نجد اولياءَ الله الا القوم الذين لا حسب لهم ولا شرف في الدنيا وانما شرفهم في الآخرة العمل الصالح فانت وغيرك ان عملتم العمل الصالح كان لكم الشرف والنسب ولسنا نحب ان نفخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآبآء فيها اذ كان ذلك معروفا غير مجهول لآبآئنا واجدادنا فقد علم كل ذي علم ولب كيف كانت ملوك كنده الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس آلا مَنْ يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانه غاية الفخر والشرف فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ونتقرب اليه وهو الباب المودي الى الحيوة والنجاة من نار جهنم . فاما قولك بان نبيك يقول يوم القيامة اذ يكون كل مشغول بنفسه اهل بيتي اهل بيتي امتي امتي وما يجاب اليه من الشفاعة فنامت عينك يا خليلي وخيراً رايتَ يا حبيبي ما هذه الا اضغاث احلام وخرافات العجائز ومواعيد النسيئة وآمال التدليس لاننا لا نشك ان سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح

الذي شهد له كتابك انه هو الوجيه في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديان الخلق والخلائق يوم القيامة لا بد من ان يكافي كل احد على عمله ان خيرًا فخيرًا وان شرًا فشرًا ولا محاباة عنده ولا هوادة لاحد بل يحكم بالقسط ويقضي بالحق بين الخلائق في ذلك اليوم فانا لك من الناصحين فاقبل مني ولا تمل الى هذا الطمع الكاذب الغرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصالح ما دمت في هذه الدنيا مقيما فتزود منها ما تنتفع به فلن ينفع في ذلك اليوم الا التقوى فدع عنك الميل الى احاديث الكسالى وعليك بالجد لجد فان الرحيل سريع والموت قريب والوقف بين ايدي المسيح الديان صحيح ولا بد من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فاتق الله في نفسك يا هذا واعلم ان تقوى الله خير تجارة تاتيك الارباح فيها بغير بضاعة فقد رايت اجتهاد اولئك الرهبان كيف هو وكيف نصبوا اجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عز وجل في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لك ولا علة فان قبلت مني فاني لك من الناصحين .

فاما ما ذكرت من التسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذي حكيت هيهات هيهات ليس ما سولت لك نفسك والمسيح سيدنا يقول في انجيله المقدس حيث بالغ في الوصايا واكد وحتم " اذا فعلتم كل ما أمرتم به واكملتم كل البر قولوا اننا عبيد بطّالون انما عملنا ما أُمرنا به فايّ فضل لنا " وهو السيد الذي قال " ما اضيق الطريق الذي يودي الى النجاة والخلاص وما اقل السالكين

فيها والواردين اليها وما اوسع الباب الذي يدخل الى التهلكة وما اكثر السائرين اليه والداخلين منه" (متى ٧) فهذا اكرمك الله خلاف ما تدعو انت اليه واشبه بامور الآخرة من تسهيلاتك العجيبة وابوابك الواسعة وقولك حُبِّبَ الي الطيب والنسآء وانكحوا ما طاب لكم من النسآء ونظائر هذه الوصايا والله المستعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور في فهمك من هذا الامر الذي قد توهّمتَ انك منه على صحة واستقامة ويعز عليَّ كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته فاسال الله الذي يهدي من الضلال الى الرشاد ان يشرق عليك من نور المعرفة ما تهتدي به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التي انت منغمس فيها فان ذلك واجب عليَّ ان ادعو لك خاصّةً وللناس جميعا عامّةً اذ كان عندنا معشر النصارى ان صلاتنا لا تتمّ الا بالدعآء للناس كافّةً بالهدى للتائهين عن سبيل الحق ان يفتح الله على بصيرتهم ويكشف كُمْنَةَ الغيّ عن قلوبهم حتى يروا خطا ما هم فيه ويرجعوا عنه الى طاعته وللمهتدين ان يثبتهم في ما انعم عليهم به فَعَلَ الله ذلك بك وبجميع اخواننا بحوله وقوته .

اما قولك أصلحك الله دَعْ ما انت عليه من الكفر والضلالة وقولك بالاب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع فاما الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن امرهما كشفا يغني عن الاعادة واتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان عليه ومن هو المقيم على الكفر ولا حاجة لنا الى اكثر من ذلك واما التغليظ مكانك أصلحك الله

كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل ان الانسان عدو لما جهل واعوذ بالله من ذلك فليس الامر على ما توهمتَ فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها ما دام خصمك غائبا لانه ليس من فعل اهل التحرج والادب فان الذي وسمته بالتخليط واجترات عليه بمثل هذا القول هو سر الله الذي كانت الملائكة المقربون والانبيآء المرسلون يركضون في طلبه ويرغبون في معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى اسمه الخلق فلم تكن تُعْطَى منه الا الشيء اليسير باللمح الخفي ولم تطلع منه الا على النذر بالرمز المستور حتى جآءَ الابن الحبيب السيد نازلا من حضن ابيه فكشفه لاوليآئه واهل طاعته فالهمهم معرفته ودفعه اليهم كاملا مشروحا مفسرا مبينا فقال لهم مصرحاً " امضوا فادعوا الناس الى المعرفة الصحيحة الكاملة التي هي باسم الاب والابن والروح القدس" فقبل ذلك الحواريون من فيه الطاهر فادوه الينا معشر المومنين بالمسيح فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته الى انقضآء العالم . واما قولك عبادة الصليب التي تضر ولا تنفع لما رايت من تعظيمنا اياه وتقبيلنا لـه وتبركنا به فنجيبك عنه قائلين انا نفعل ذلك للذي مثّلَ لنا فيه من امر المسيح وما جرى به تدبيره في خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه والموت لاجلنا فان النعمة عندنا في ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفي به شكر والصليب ممثل هذه النعمة نصب اعيننا يحثنا على شكر موليها والمنعم بها واليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا الى الخشب وغيره مما تصنع منه الصلبان ولو كنا نعظم الخشب كما توهمت لما اتخذنا

الصليب من غيره ولكنَّا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطُّه خطًّا ونرسمه بايماننا وذلك دليل على اننا لا نقصد بالتعظيم للجواهر التي تتخذ منها الصلبان بل من هو ممثل بالصليب وكما انه من السُّنَّة تعظيم كل شيءٍ من امر الملك وما نسب اليه وخاصة الممثل فيها شخصه فان السُّنَّة جارية فيها على وجه الدهر بان نتحفها بالسجود تعظيما للملك وما مثل فيها من امره فكذلك نوجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته واستسلامه اذ كان ممثّلا لنا امر المسيح سيدنا وملكنا وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا ثم ان الناس في هذا الدهر ايضا على بقية من هذه السُّنَّة فانهم يقبلون ايدي ملوكهم واقدامهم وكتبهم اعظاما لهم فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم من انفسهم برًّا ورشدا فكيف الان تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامته ومحله عندنا المحل الذي وصفنا واننا نجد في الكتب المنزلة من عند الله ان الانبياء كانوا يعظمون التابوت الذي عمله موسى بامر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه وكان موسى كلما حُمل التابوت يقول " قُمْ يا رب ولينهزمنَّ شانئوك " واذا وضع يقول " عُدْ يا رب الى الالوف وعشرات الالوف من بني اسرائيل " ومما حدث يشوع بن نون عن بني اسرائيل انهم خروا سُجَّدًا بين يدي التابوت معظمين له عائذين به مما نالهم وداود النبي حين نقل التابوت الى اورشليم عظمه غاية التعظيم واتحفه بالذبائح والقرابين وشيعه بالتسبيح والتهليل واستتم ذلك بمثل مقالة موسى النبي فقال " ليَقُمْ الله ولتَتبدَّدْ جميع اعدائه ويهرب شانئوه من بين يديه " وكان فعلهم هذا

بالتابوت تعظيما لله لا للخشب وغيره فنحن على هذه السنة ايضا في تعظيم الصليب ونجري فيها على ما جرى عليه الانبيآء الابرار فلِمَ اصلحك الله غلب عليك النسيان في هذا الموضع كانّك جآءتك حمية الاسلام وحرضتك العصبية الهاشمية فازاغتك عن سبيل الحق وحادت بك الى خلاف ذلك السبب الذي انت اقررت به بفيك ولفظ به لسانك مما جرّبتَ من القوة الحالة في الصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدابة وحين هربت ممن هربت منه وحين لقيت الذى لقيت في طريقك وانت ماضٍ الى عمر الكرخ وحين تلقاك الاسد وقاربت ساباط المدائن اَفَتَرَاكَ اصلحك الله نسيت هذه المواقف فان كنت انت نسيتها فنحن ذاكرون لها فَلِمَ اصلحك الله تكفر بالنعمة وتكافي بالشر وتُقِلُّ من الشكر وتنكر المعروف وليس هذا مذهب من هو مثلك من اهل التحرج والتمسك بالصدق ولِمَ قلت ان عبادة الصليب تضر ولا تنفع فليت شعري اي ضرر نالك عند تعوذك بالصليب وانت تعلم انا معشر النصارى لا نعبد الصليب وانما نعبد القوة الحالة في الصليب والتاييد الذي ايدنا به والخلاص الذي اوتيناه بسببه اَلَمْ يجْرِ بيننا من الكلام والمحاجة بحضرة من جرى ما قد اقنعك وتعلم كيف كان الحكم عليك في ذلك المجلس فَلِمَ رجعتَ عما كان صح عندك واقررت بصوابه حتى ذكرت انك امتحنت ذلك فوجدته صحيحا اوكان ذلك من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته ام انما اردت مدافعة ذلك الوقت على انى ارجو ان لا

يكون هذا القول منك في الصليب اعتقاداً ولا ابطالا للفضيلة التي رايتها حالة فيه .

واما قولك انك اشفقت عليّ من النار ورضيت لي ما رضيته لنفسك فهذا القول يجب شكرك على ظاهره واذا عكست قولي لك فيه وجب شكري عليك في باطنه فميز اعزك الله هذا الموضع وافهمه فانه اصلح في البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير وكيف اقول وانت تسال وتتضرع الى الله كل يوم في صلواتك الخمس قائلا " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين" فان كنت يرحمك الله مهتديا فقد استغنيت عن المسالة والتضرع في كل وقت وعند فاتحة كل صلاة أن يهديك اذ لا معنى لطلبك الهداية وانت مستغن عنها وان كنت لم تهتد بعد وكنت طالب الهداية فاعلمني اكرمك الله من هم هولآء المنعم عليهم الذين تسال ربك تبارك اسمه ليلا ونهارا ان يهديك الى صراطهم ويلحقك بهم وانت تدعي "انكم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس" وان الدين عند الله الدين الذي رضيته انت لنفسك وانه لم يقبل غيره من الاديان والنحل اهم المجوس عبدة الشمس والنار ذوو الشرائع النجسة التي تبيح نكاح الامهات والاخوات والبنات وما شاكل ذلك من السنن الدنسة التي تانفها النفوس وتستشنعها العقول وتنفر منها الطبائع فانت تعلم وكل ذي خبرة ايضا ان هولآء لم يُنْعَمْ عليهم بالمعرفة التامة اذ هم لا يوحدون بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معبودهم ابليس فليست المجوس اذن المنعم عليهم فاخبرني

هل هم اليهود الذين تَبَرَّأ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم انهم هم المغضوب عليهم المرذولون المشتتون بين الامم الملقى عليهم الذل والمسكنة منهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كل نبي ورسول فليست اليهود اذن المنعم عليهم الذين تسال ان تهدى الى صراطهم وما صراطهم بمستقيم وان قلت عبدة اللات والعُزَّى ويغوث ويعوق وكُثْرَى وشمس وجِهَار وهُبَل ونَسْر وسُوَاع وَوَدّ واساف ونائلة وذي الكَفَّيْن ومَنَاة وسَعْد وذي لخَلَصَة وسائر الاصنام التي كانت العرب تعبدها بمكة وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلا " ووجدك ضالاًّ فهدى فالضالون اذن هم عبدة الاوثان اذ قال وجدك ضالا فهدى لان صاحبك لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا وانما كان حنيفا يعبد اساف ونائلة الصنمين اللذين كانت قريش تعبدهما والاحابيش فلما مَنَّ الله عليه بمعرفة التوحيد بالسبب الذي ذكرناه سالفا سال ربه ان يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبدة الاصنام فان ادعيت وقلت ان صراط الدهرية والجرهانية والسمانية والبراهمة وغيرهم ممن اشبههم في المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم قلنا لك هذه المقالات انت تعلم وكل ذي عقل وعلم ان صاحبك لم يسمع بها قط ولا عرفها ولا حضر المجالس التي يجاوب فيها عنها بل تعوذ منهم ومن صراطهم واذ قد تعوذت من صراط المجوس وصراط اليهود المغضوب عليهم وصراط عبدة الاصنام الذين هم الضالون ولم يخطر ببالك صراط الدهرية والجرهانية والسمانية والبراهمة فما بقي الا صراط المنعم عليهم الذين هم

النصاري وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحه عز وجل وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلت أصلحك الله شيئا لا تفهمه وانما ذكرتك ما تعلمه والا فهل تقدر ان تجحدنا حقنا هذا الذي في ايدينا ولنا من النعمة التي اوتيناها وهو نور الانجيل وهدايته ما اقرلنا به صاحبك في كتابه ولم ينكره وجميع الاديان والامم مقرون مذعنون لنا به لا يتهيا لهم دفعه ولا يمكنهم ابطاله فامعن يرحمك الله النظر في هذا الفصل من كتابنا وردّدْ فكرك فيه كفعْل من يريد نصح نفسه لا كفعل من يريد غشّها فان النصيحة واجبة على الناس جميعا وهي على المرء لنفسه خاصة حقّ والحق حق يتّبَعْ فلا ينبغي ان تبخس الحقّ حقّه ارشدك الله الى الخير وهداك الى الصراط المستقيم بحوله وقوته .

واما قولك يرحمك الله ان اكتب بما عندي من امر ديني والذي صح في يدي منه آمنا مطمئنا لتبصر فيه وتجمعه الى ما في يدك فما اولاك بذلك اصلحك الله وما اجدرك بفعله لان الحجة عليك اوجب منها على غيرك لما قد فضلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واخترته من المقالات والحق اهم ان تفضله ذوو العقول على الامور كلها لجلالة مرتبته لانه ميزان الله سبحانه ودستوره ونحن نسأله تعالى ان يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس نظرا ينفعك الله به في العاجل والآجل كما نساله عز وجل ان يفعل ذلك ايضا بكل من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه .

فلنبدأ الان بتطهير قلوبنا واسماعنا وتقديس السنتنا بالاخبار عن اسباب البشارة الطاهرة المقدسة ونصدر ببعض شهادات الانبياء الذين استودعهم الله سره وكلمهم بوحيه وامرهم بان يخبروا الناس بما هو مزمع عليه في سابق علمه من اكمال نعمه عندهم واتمام تفضله عليهم ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة فاتخذ منهم جسدا بشريا وصار انسانا يجب له بذلك المجد والسجود والطاعة من الملائكة والانس والشياطين والاذعان بالربوبية المتحدة به والالوهية الحالة فيه وليعلم الناس مخاطبته اياهم شفاها مصرّحا انه الله الواحد المثلث الاقانيم آب وابن وروح قدس اله واحد تام فيستكملوا النعمة بالمعرفة فيكون جل وعز قد اتم جوده عليهم واحسانه اليهم بتعريفهم سره المخزون وتكون حجته بالغة عليهم وتنقطع حجة المتعنت ويضمحل قول القائل انه لم يؤتَ المعرفة وان الامر كان مستورا عنه محجوبا دونه مرموزا لا يفهمه فحينئذ لا عذر لمن جحد الحق ولا علة لمن عانده كما قال بولس رسول المسيح "لينسدَّ كلُّ فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله" (رومية ٣) وقال الله تبارك وتعالى على لسان موسى في التوراة في السفر الاول الذي هو سفر الخليقة ان يعقوب المعروف باسرائيل الله لما قربت وفاته دعا اولاده كلهم فباركهم واخبرهم بما هو مزمع ان يكون في آخر الزمان واودعهم هذا السر ولم يزل يبارك واحدا فواحدا حتى انتهى الى يهوذا الذي من نسله ولدت المغبوطة مريم ام المسيح مخلص العالم فقال "يهوذا لك تمدح اخوتك يدك على اكتاف اعدائك . يسجد لك بنو ابيك .

شبل ليث يهوذا . من فريسةٍ صعدتَ يا بني . جثا وربض كاسد وكلبوةٍ مَنْ يُنْهِضُهُ . لا يزول القضيبُ من يهوذا والمدبّر من فخذه حتى يجيء الملك واياه تنتظر الشعوب" (تكوين ٤٩)

فانظر اعزك الله في هذا الكلام نظرا روحانيا مستقصيا بعين العدل والانصاف وتفهّمْهُ فان مَنْ لم يفهمه لم ينتفع به هل تليق هذه النبوة من ذلك الشيخ المبارك اسرائيل الله وصفيه الا على المسيح مخلص العالم لانه هو الخارج من يهوذا بانسانيته وله خضع بنو اسرائيل لما دخلوا في دعوته وصارت يد الروم التي هي يده على اكتاف من عاداه من بني اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا به فقتلتهم الروم ومزقتهم كل ممزق فلا تقوم لهم قائمة ابدا ولا يزالون اذلّاء الى الانقضاء وزوال الدنيا وهو الذي بُعث من بين الاموات حيًّا بعد ثلثة ايام من صلبه وهو الذي سجد له بنو اسرائيل حيث راوا الاعاجيب والآيات التي اظهرها بين ايديهم وهو شبل الليث لانه ابن الله القوي العزيز الجبار لم تزل النبوة تترادف في بني اسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشر الذي انبأتْ عنه النبوات كلها التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعه فلما جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا وبني اسرائيل فلم يقم نبي بعد مجيئه واياه كانت تنتظر الشعوب وله كانت ترتجي الامم وكما انه لا معنى لمجيء الرسل بعد طلوع الملك عليهم كذلك لا معنى للانبياء بعد ظهور الاله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك كما سبقت لانبياء وسمته ملكا وتنبا ذكرياء النبي هاتفا بصوته عن الروح القدس

على كلمة الله تبارك وتعالى فقال " افرحي يا بنت صهيون واهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك ياتيك باراً ومخلصا ومتواضعا وراكبا حمارا وعلى جحش اتان فَتَهْلِكُ لمجيئه المراكب من افرام والخيول من اورشليم ويكسر قسي القتال ويخاطب الشعوب بالسلام والامان" (ذكريا ٩) فهل اصلحك الله كَلَّمَتْ هذه النبوه الا على المسيح انه جآء بالبر والخلاص والتواضع ثم اباد بمجيئه من بيت المقدس واورشليم التي هي صهيون جميع ما كان فيهما من المراكب والخيل المعدة للحرب وانكسرت القسي التي هي من آلات القتال ودالة عليه وركب جحشا ابن اتان تواضعا وكلم الامم الذين هم الشعوب بالسلم والامان وادخلهم في ميراث دعوته وجعلهم ابنآء ملكوت السمآء الذي هو موعد الله تبارك اسمه لنا . وهذا داود النبي وهو لسان الله يقول مصرحا " الربّ قال لي انت ابني انا اليوم ولدتك . اسألني فاعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض مُلكًا لك" (زبور ٢) اي انهم مزمعون ان يدخلوا في دعوته وطاعته وان سلطانه يمتدّ الى اقاصي الارض وقال ايضا " يا ايها الملوك افهموا ويا حكام الارض اعلموا اعبدوا الرب بخشية وسبحوه برعدة واقبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا بسخطه لانه عما قليل يستشيط غضبا طوبى للمتوكلين عليه" (زبور ٢) معنى ذلك اقبلوا ما ياتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه فانكم ان لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لانه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجاحدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال فهلكوا وبُدِّدَ شملهم وطوبى للمتوكلين عليه اي المومنين به والمصدقين لقوله

وقال ايضا " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك لان الرب يبعث عصا العز من صهيون ويُسَلّطك على اعداءك" (زبور ١٠٩) فافهم افهمك الله كل خير قول النبي داود هذا فان فيه سرا يحتاج الى معرفته كل ناظر في كتابنا هذا ليصح عنده الامر.......... فاقول ان عادة العبرانيين منذ عهد موسى نجيّ الله ان الاحرف التي يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى احرف منفردة لا يكتبون بها شيئا غير ذلك وهكذا كانت هذه الاحرف في اللوحين اللذين دفعهما الله تبارك اسمه الى موسى النبي ففي قول داود عن الله عز وجل قال الرب لربي هما اسمان مكتوبان بالاحرف التي تسمى المنفردة التي لا يكتب بها الا اسم الله تبارك وتعالى فهذا عند اليهود والنصارى وهما امتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه ولا شك وذلك عن غير تواطؤ فافهم هذا السر الذي اوعزه الله تبارك وتعالى الى نبيه فانك اذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحا لقوله قال الرب لربي وقال في موضع آخر " الرب اشرف من عُلُوّ قدسه الرب من السماء ظهر على الارض ليسمع انين الاسرى ويطلق المربوط من الموت" (زبور ١٠١) ومعناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الاصنام وانقطاع الرجاء من موعد الحيوة الدائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا انه يعطينا اياها يوم القيامة قال " ليدارسوا في صهيون اسم الرب وتسبيحه في اورشليم عند ما تجتمع الامم والملوك معا لعبادة الرب" فقد كملت نبوة داود وهذه اورشليم تجتمع فيها الامم ويدارسون اسم الرب اي اسم الآب والابن والروح القدس الذي هو اسم الرب

المعززون ويمجدونه بانواع التماجيد واصناف التسابيح بالالسن المختلفة واللغات الغريبة اناءَ الليل والنهار لا يملون ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهم من حق عبادته بقصدهم اياها من البلدان الشاسعة وجميع اقطار الارض البعيدة فمن عاند هذا يا خليلي فما هو عند اهل الحق الا جاحد كافر قد اعماه الجهل وطمس على قلبه الحسد وهذا اشعياءَ المغبوط قد تنبا وصرخ باعلى صوته قائلا " قال الله تبارك وتعالى تَقَوّي ايتها الايدي الضعيفة ويا ايتها الركب المرتعشة تَثبّتي وقل لضعفاءَ القلوب تَقَوّوا ولا تخافوا فان الهكم يجيء الها مخلصا فيخلصكم هنالك تنفتح اعين العميان وآذان الصم تسمع ويقفز المُقعَد في ذلك اليوم كالأيّل ولسان البكيم يتكلم" (اشعياء ٣٥) وانت ارشدك الله الى الحق تعلم ان كتابك يشهد بان المسيح الاله قد فعل هذا كله وانه ابرا المقعد الذي كانت قد اتت عليه ثمان وثلثون سنة فقال له " قُم احمل سريرك واذهب الى بيتك" فقام عاجلا ومضى وهو الذي ابرا ذلك الابرص والاخرس الابكم المعتوه المشروح خبره في الانجيل الصادق وما جرى من قول اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا بروءه وخروجه سليما من جميع العاهات التي كانت به وتقريع سيدنا اياهم ودحضه حجتهم وقال اشعياءَ النبي ايضا في موضع آخر مشيرا الى مولد المسيح " اسمعوا يا بيت داود الرب يعطي علامة لشعبه هوذا العذراءَ تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (اشياء ٧) تفسيره الهنا معنا فاي شيءٍ يكون اكثر توضيحا من هذا فهذه بعض النبوات التي تنبا بها الانبياءَ على مجيء السيد المسيح محيي العالم وكنا نريد ان نزيد

من الشهادات ولكنّا كرهنا ان نطول كتابنا فيمله القاري وفي ما
اتيناه كفاية لمن لا يعاند الحق ويظلم نفسه وكافي بك اصلحك الله
قد ذكرت التحريف في هذا الموضع واحتججت علينا باننا حرفنا الكلم
عن مواضعه وبدلنا الكتاب وكانّ هذا القول جعلته كهفا لك تستتر به
واني لاخبرك خبرا حقا فاسمعه مني وعِه واقبله فان قولي ليس قول
باغ ولا حاسد ولا متعنت معاند بل انما هو نذر مني لك ونصح اذ كان
ديني يوجب عليّ نصيحة كل احد مانا بذلك مشفق عليك من كثرة
الجهل وصَرْعَتِهِ وخَيمِهِ وما اعلم اني سمعت قط بحجة اشد انقطاعا
واوحش انفساخا من حجتكم في باب التحريف والتبديل واني
لاعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحق وكان
له ذهن صحيح يميز به كيف يجوز مثل هذا عليه وانت تعلم اننا نحن
واليهود الاعدآء الكفرة الجاحدين لما جآء به نور العالم وضيآء الدنيا
المسيح سيدنا ومخلصنا قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا
الكتاب وانه منزل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه
زيادة ولا نقصان والا فنحن ندعوك الى واحدة هي نصفة لنا ولك
إِأْتِنَا اصلحك الله انت ايها المدعي علينا التحريف والتبديل ان كنت
صادقا بكتاب غير محرف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات
العجيبة كما شهدت الاعاجيب للانبيآء والحواريين حيث جآؤنا بصحة
هذا الكتاب فقبلنا ذلك منهم وهو في ايدينا وايدي اليهود بلا زيادة
ولا نقصان واني لاعلم انك لا تقدر على ذلك ابدا حتى تاخذه منك
ايضا كيف وكتابك يشهد بصحة ما في ايدينا شهادة قاطعة اذ

يقول " فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" (يونس ٩٤) ثم فسر هذا القول واكده معترفا لنا بالفضيلة التي اوتيناها قائلا " الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولآئك يومنون به ومن يكفر به فاولآئك هم الخاسرون" (بقرة ١١٥) فافهم يرحمك الله كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا وقد امر ان نُسآل ويقبل منا كل ما نقوله فكيف تدعي وتقول انه قد وقع منا التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه فهل هذا الا حكمان متناقضان يتبين لكل احد السبب فيهما اذ كنت تشهد لنا بحق التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل فهذا غاية المحال والشناعة فاذا كنت لا تقدر انت ولا غيرك ان تامق على ما في ايدينا على الشريطة التي شرطناها وهو ممتنع من امكانك فما لك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا من اخلاقك وتشنع علينا وتقول انا حرفنا الكتاب وبدلنا تنزيل الله وغيرنا كلامه ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك فانصف اصلحك الله واطلب رضى ربك كما يجب على ذوي العقول وانظر من هو المحرف والمبدل انحن الذين اخذنا الكتاب عن قوم جآوا به على صحته بالآيات والعجائب الالهية الخارجة عن امكان طبائع الادميين واتفقت عليه الامم المختلفة الالسن والاهوآء والديانات والبلدان البعيدة الدين لا يمكن ان يقع بينهم في مثله تواطو بحيلة من الحيل ام الذي قبل كتابا بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا ذكر ولا

اعجوبة تشهد له وانما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان اهل بلده فقط فجعل ذلك برهانا له وزعم ان الكتاب الذي هذه حاله وقصته يجري مجرى فلق البحر واحياءَ الموتى وابرآءِ الكمه والبرص واقامة المقعدين واخذه لذلك الكتاب عن قوم كانت بينهم الاحن والضغائن وكل منهم زاد فيه ونقص وبدّل وغيّر واجترا حتى ان نسبه الى الله تعالى وزعم انه دليل على نبوة نبيه وانه شاهد عدل له بانه رسول رب العزة ثم لم يرض بهذا بل تَعَدَّاهُ وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول انه منزل من عند الله واني نبي مرسل قتلتُهُ وسلبتُه ماله وسبيتُ ذراريه واستبحت حريمه فقبل ذلك منه كرها وخوفا وفرقا لما توعد به من البلآء والشقآء بلا حجة ولا برهان فاجعل اصلحك الله عقلك هو الناظر والحاكم في هذا والمميز له وانظر الى ما يوديك فالزمه واعتقده فاني واثق بعقلك انه يخلص لك ولا يغشك لان الله تبارك وتعالى اسمه انما جعل العقل ميزان العدل فاستعمل ما فضلك الله به فانك ان بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى . فلنرجع الان الى ما كنا فيه من ذكر البشارة الطاهرة فنقول انه قد صح عند ذوي العقول الاصيلة اهل البحث والتدقيق وتقرر عندهم بالقياسات والاجماع عن غير تواطؤ ان النبوات التي اودعتها الانبيآء كتبهم عن الله جل وعز قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى فلننظر الان في الآيات التي جآءَ بها المسيح سيدنا الدالة على سلطان الوهيته وقدرة ربوبيته فنقول ان اول ذلك ومبتداه ان الله الرحيم المتفضل على خلقه اختار من جنس آدم الذي خلقه بيده وشرفه بصورته وفضله

بشهد على الخلائق كلها جارية عذرآء زكية طاهرة مقدسة نقية لا عيب فيها لا في نفسها ولا في بدنها ليحل فيها كلمته وروحه وياخذ منها جسدا بشريا تاما فيتحد به ويخاطبنا وجعل المبشر لها جرائيل رئس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضله على سائر اجناد السمآء واحله اشرف المنازل ببعثه اياه رسولا الى خيرته من ذرية آدم سيدة نسآء العالمين مريم المغبوطة بنت يواكيم والدة ربنا يسوع المسيح الاله المخلص فجآءها مبشرا من عند الله مكرما ومهنئا فخاطبها قائلا " السلام عليك ايتها الممتلئة نعمة سيدنا معك" ولم يقل " سيدي" بل جمع اجناد الملائكة كلها بقوله "سيدنا" فمن سيد الناس والملائكة جميعا الا كلمة الله الازلية التي خلقت السموات والارض كما قال داود فافهم يرحمك الله هذا السر المخزون في كتب الله ودَعْ عنك عمآءَ الجهل والعصبية انار الله عقلك وخلصك من ظلمات الضلال ثم قال جبرائيل في اثر ذلك القول " انك تحبلين وتلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع" الذي تفسيره المخلص " هذا يكون عظيما وابن العليّ يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه ويكون ملكه على آل يعقوب الى الابد ولا يكون له انقضآء" فلما خاطبها جبرائيل بهذا تعجبت من قوله فردَّتْ عليه قائلة " من اين يكون لي هذا ولم يباشرني رجل" فاجابها جبرائيل قائلا " الروح القدس يحل عليك وقوة العليّ تظللك ولذلك يكون الذي يولد منك قدوسا وابن العليّ يدعى" ثم اعقب قوله ذلك باعطآئها الدليل لتزداد يقينا ولا ترتاب ولا يكون للشك عندها موضع بقوله ثانية " وهوذا اليصابات نسيبتك

قد حبلت بابن على كبر سنها وهذا هو الشهر السادس من حبل تلك التي كانت عاقرا " فهذه اعجوبة البشارة التي لا تكون ولا يليق مثلها الا بهذا السيد المخلص . فاصغَ الان لشهادة المخالف التي توكد الحجة عليه اذ يقول صاحبك طائعا مقرا " واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطَهَّرَكِ واصطفاك على نسآء العالمين يا مريم اقنتي لرّبك واسجدي واركعي مع الراكعين . . . . . . يا مريم ان الله يُبَشِّرُكِ بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدُّنيا والآخرة ومن المقرَّبين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت ربِّ أَنَّى يكون لي ولدٌ ولم يَمْسَسْني بشرٌ قال كذلك الله يخلق ما يشآء اذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون ويُعلِّمهُ الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اَنّي قد جِئْتُكُمْ بآيَة من ربكم اَنّي اَخْلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير فَاَنْفُخُ فيه فيكون طيرا باذن الله وَاُبْرِئُ الاكمهَ والابرصَ وَاُحْيِي الموْتَى باذن الله واُنَبِّئُكُمْ بما تاكلون وما تَدَّخِرونَ في بيوتكم اِنَّ في ذلك لآيَةً لكم ان كنتم مومنين ومصدقا لما بين يَدَيَّ من التوراة وَلِاُحِلَّ لكم بعْضَ الذي حُرِّمَ عليكم وجئتكم بآية من ربكم فَاتَّقُوا الله وَاَطيعُونِ" (آل عمران ٣٧ و ٤٤) فهذا قول صاحبك وشهادته واقراره بالحق مذعنا ومصدقا فهل تعلم اصلحك الله او تذكر في ما قراته من كُتُب المخالفين احدا كان له في ابتدآء أمره من البشارة مثل ما قصصنا عليك عن الله عز وجل في الانجيل الطاهر المقدس وعن كتابك الذي تدعي انت بصحته وتقرُّ بعدالته

وشهادته ثم ان مريم الطاهرة المباركة صارت الى ام يحيى بن ذكرياءَ
وقد كانت هي وزوجها بَارَّيْنِ تَقِيَّيْنِ عندما حبلت بيوحنا فلما قرعت
باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم اضطرب الجنين
في احشائها فَرَحاً وهتفتْ أُمُّهُ بصوت عال قائلة " من اين لي هذا
ان تاتي أُمُّ رَبِّي اليَّ . مذ وقع صوت سلامكِ في اذنيَّ اضطرب
الجنين في بطني ساجدا فرحا " ومن قول صاحبك في ذكرياءَ " هنالك
دعا ذكرياءُ رَبَّهُ قال رب هَبْ لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع
الدعآء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب . ان الله يُبَشِّرُكَ
بيحيي مصدِّقًا بكلمةٍ من الله وسَيِّدًا وحصوراً ونبيًّا من الصالحين" (آل
عمران ٣٣ ٣٤) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه
السلام فان " مصدقا " صفة ليوحنا ولكن " كلمة الله وسيدا " ليست
بصفة ليوحنا لانه لم يُؤْمِنْ بيوحنا انه كلمة الله ولا كان سَيِّدًا فاما
حصورا ونبيا ومن الصالحين فمن صفات يوحنا لانه كان نبيا وحصورا
ومن الصالحين فانت أصلحك الله ان لم تعسف الكلام وتحيله عن
حقه علمت علما حَقًّا ان هذا معناه . ثم انه ظهر للمجوس في بلاد
فارس الكوكب الدال على ميلاد الملك العظيم الذي لا زوال لملكه
وان له الملك بالحقيقة وكان علمآؤهم قد سبقوا فاخبروهم بخبره في
الكتب وعرفوهم وقت ظهوره واعطوهم الدليل على ذلك والعلامة
ظهور كوكب يَتَقَدَّمُهُمْ في المسير اليه وقضآء بعض حق عبادته بالسجود
له والخضوع لطاعته فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين
ومومِلين حتى جآءَ الوقت وظهر الكوكب الذي هو الدليل على ميلاد

السيد العظيم فجآءُوا من بلاد فارس الى بيت المقدس الذي هو ارض اليهودية بهداية الكوكب حتى وقف ببيت لحم فقضوا الغرض وادوا حق الطاعة وراوا ما كانوا يوملونه وادركوا ما كانوا يرجونه وانصرفوا مومنين غير شاكين ولا مرتابين بل فرحين مسرورين لما أُهِّلُوا له . ثم ظهر ملك من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يرعون اغنامهم فقال لهم عندما اشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد ها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لكم وللناس كافة انه قد ولد لكم مخلص يعني لاولاد آدم جميعا وهو السيد المسيح والدليل لكم انكم اذا صرتم الى الموضع تجدون صبيا ملفوفا في اطمار موضوعا في مذود فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم اجناد الملائكة مع ذلك الملك وهي تطير ما بين السمآء والارض بتهليل وترتيل وتهتف جميعا بصوت عال وتسبح وتقول " المجدُ لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة والامن والرجآء الصالح للناس كافة " ثم اقبل الرعاة الى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود ملفوفا في اطمار موضوعا في مذود على ما اخبرهم به الملك فصدقوا وآمنوا واخبروا بخبرهم وما عاينوه من اجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب وقصوا قصة مجيئهم فتعجب من ذلك كل من سمع . فهذه اصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول . فلنخبر الان ملخصا كيف كان ابتدآء الدعوة فنقول لما اتت على سيدنا يسوع المسيح ثلثون سنة وظهر يحيى بن ذكريآ بتلك المعمودية بمآء نهر الاردن التي للتوبة صار اليه المسيح ليصطبغ منه فلما رآه يحيى قال " هذا حَمَلُ

الله الحامل خطايا العالم" ثم قال "ياسيدي انا محتاج ان اطهر منك وانت صرت اليّ لتتطهر مني" فاجابه يسوع قائلا " دع الان لانه هكذا يجب علينا ان نكمل كل البر" ثم لم يزل مجتهدا حتى عَمَّدَهُ فلما صعد المسيح من الماء انفتحت ابواب السماء ظاهرا مكشوفا تجاه العالمين الذين كانوا هناك فراوا الروح القدس قد حَلَّ عليه في صورة حمامة واذا بهاتف يهتف من السماء بصوت عال قائلا " هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ" فتعجب لذلك يحيى بن زكرياء وجميع من حضر. ثم ابتدا في اظهار دعوة الناس بعد ذلك الى اليوم الذي طلع فيه الى السماء وحثهم على التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الاهل والولد والاموال واللحوق به والترغيب في اعمال البر والكف عن المآثم والتحبيب لاصطناع المعروف الى كل احد وترك الضغائن والحسد والطلب بالطوائل والاخذ بالثار وترك المكافاة عن الاساءة والصفح عنها والتفضل على كل احد بما هو حسن واعلمهم ان هذا يقربهم الى الله تبارك اسمه وحثهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الاجر في دار المآب التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها وانذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت للحساب والثواب والعقاب فمن عمل صالحا فله ثواب ذلك في ملكوت السماء ومن عمل شرا فعليه العقاب في نار جهنم خالدا فيها ابدا وحقق قوله بعمله الاعاجيب وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائل الواضحة التي لا يمكن المخلوقين ان ياتوا بمثلها وذلك بغاية الرفق والتواضع والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذين هما من

فعل الشيطان واشباهه واظهار الرحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة وبذله كل ما سُئل او طلب منه لا يطلب على ذلك من احد اجرا ولا شكرا الا تمجيد الله وتحميده والتصديق بان الله جل وعز قد انجز وعده الذي وعد على السن انبيآئه واكمل جوده وتفضله على آدم وذريته اذ بعث اليهم كلمته متجسدا منهم وانقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرفهم نفسه انه إِلَهٌ واحد ذو ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس فكان اول ما دعاهم به قوله " توبوا ايها الناس فقد دنت ملكوت السمآء فاوعى في آذانهم ذكر التوبة والبعث اللذين لا عهد لهم بهما ولا يعرفونهما ورغبهم في ملكوت السمآء ليعملوا اعمالا يستحقون بها الدخول اليها وزهدهم في الافعال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها الى الامر الذي يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام اربعين يوما بلياليها تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان معرفا للناس ان الله تبارك اسمه قادر على ان يحيي الانسان بغير خبز ولا مآءٍ ممثلا في ذلك حال حياتنا بعد الموت في القيامة وانه في ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلها ونحيى بلا آكل ولا شرب .

ثم ابتدا في فرض الشرائع والسنن الروحانية وتعليم النواميس الالهية التي تليق بالاله ونفي الامور الجسدانية فكان من قوله في القتل " قد سمعتم ما قيل للاولين ان من قتل يُقتَلْ واما انا فاقول لكم ان من غضب على اخيه باطلًا فقد استوجب العقوبة ومن عاب اخاه فقد وجبت عليه لائمة الجماعة ومن اسآءَ الى اخيه فقد

استوجب نار جهنم ولا تغربنّ الشمس على احد وهو غضبان على اخيه" ثم قال " اذا كنتَ قائما في صلاتك وتذكرت ان اخاك واجد عليك فاقطع صلاتك وامضِ اليه مُتَرَضِّيًا له ثم اَقبِلْ واتمم صلاتك" فقطع بهذه الشريعة اصل العداوة واسباب البغضة التي تمضي القتل ثم قال " قد سمعتم انه قيل لا تَزْنِ واما انا فاقول لكم مَن نظر الى امراة نظرة شهوة فقد زنى في قلبه" فَدَلَّنا بهذا ان الله جل ثناؤه عارف بالظاهر والباطن لا تخفى عليه خافية وهو المكافي على السر علانية ثم قال " قد سمعتم انه قيل من طلق امراة فليعطها كتاب طلاقها وانا اقول لكم من طلق امراته عن غير فاحشة اَتَتْهَا فقد الجاها الى الزناء ومن تزوج مُطَلَّقَةً فهو زان" ثم قال في ذَمّ الكذب " قد سمعتم انه قيل لا تكذب في قسمك اما انا فاقول لكم لا تقسمنَّ البتة لا بالسماء لانها كرسي الله ولا بالارض لانها موطا قدَمَيْه ولا باورشليم لانها مدينة الملك الاعظم ولا براسك لانك لا تقدر ان تحدث فيه شعرة سوداء او بيضاء بل ليكن كلامك النَّعَمْ نَعَمْ وَاللَّا لَا وما زاد على ذلك فهو خطا من الشيطان" ثم قال في ذَمّ الاخذ بالطوائل والترغيب في الصفح والامتناع من الانتقام " قد سمعتم انه قيل العين بالعين والسن بالسن والجراح قصاص واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحَوِّلْ له الايسر ومن طلب ان ياخذ قميصك فلا تمنعه رداءك ومن سَخَّرك ميلا فامضِ معه ميلين ومن سالك فاعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا تردّهُ" فقطع بهذه الوصية سبيل الخصومات وبرد نار

الملاحمات وربع الشر القاطع بين الناس وقرب بعضهم من بعض وجمع بينهم بالتحابب وَالآنَ قساوة الغلظة وآنس وحشتها وجعل الناس اخوة في الرحمة والشفقة . وقال في الفضل والاحسان " قد سمعتم انه قيل أحبِبْ قريبك وابغض عدوك واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم واحسنوا الى من اساء اليكم وادعوا لمن اضطهدكم وساقكم كرها لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء وتتشبهوا به فانه يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويحدر قطره على الابرار والفجار" ثم قال موكدا لهذه الوصية وَمُرَغِّباً فيها " وان كنتم تحسنون الى من احسن اليكم فايُّ اجرٍ لكم أَلَيسَ يفعل هذا السفهاء بل كونوا كاملين محسنين متفضلين كيما تشبهوا الرب الذي يمهلكم ويتفضل عليكم" ثم قال في البر انظروا في صدقاتكم لا تعطوها تجاه الناس تريدون بذلك برًّا منهم فيضيع اجركم لكن انت ايها المتصدق أيَّما تصدقت بصدقة اياك ان تعلم شمالك ما صنعَتْ يمينُك لكيما تكون صدقتك سرًّا والحق اقول لك ان اباك الذي في السماء يكافيك على صدقتك علانية " ثم قال "وانت ايها المصلي اذا اردتَ الصلاة فلاتَقِفَنَّ في الاسواق وعلى ظهور الطرقات تراءي الناس بصلاتك لكي يمدحوك الحق اقول لك ان فعلت هذا فلا اجر لك بل قد اخذتَ اجرك من الناس الذين مدحوك ثم قال ايها المصلي اذا اردتَ ان تصلي فادخل الى مخدعك وَصَلِّ بين يدي ابيك سرًّا وابوك الذي يعلم السر يكافيك علانية" ثم قال "اذا صمتَ فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي تراءي الناس بذلك فيضيع اجرك بمدحة الناس

ولكن اذا صمتَ فاغسل وجهك وادهن راسك وقوِّ كلامك لكيما يخفي على الناس صيامك والحق اقول لك ان اباك الذي اياه قصدت بصومك يجازيك" ثم قال في ذم الشره والحرص والبخل "لا تَدَّخروا ذخائركم حيث يصل اليها اللصوص والآمات بل ادَّخروها في السمآء حيث لا تصل اللصوص وتامنون عليها وحيث تكون ذخائركم فهناك تكون قلوبكم" ثم قال "لا يقدر العبد ان يخدم ربين الاَّ باكرام احدهما واحتقار الآخر وكذلك لا تقدرون على خدمة ربكم وخدمة الدنيا" ثم قال "لا تهتموا بما تاكلون ولا بما تشربون فان عنايتكم بانفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا افضل واوجب عليكم من عنايتكم باجسادكم لان النفس افضل من الجسد اذ كان لا قوام للجسد الا بالنفس ولكن تشبهوا بطير السمآء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع بل تغدو خِماصاً وتروح بِطانًا لان اباكم الذي في السمآء يؤتيها رزقها والحق اقول لكم انكم في الخليقة افضل واكرم عند الله منها فلا تهتموا بما تقيتون به اجسادكم بل اصرفوا عنايتكم الى ما يرضي ربكم ولا تحمّلوا اليوم هم الغد انما يكفي اليوم هَمُّهُ فلا تهتموا برزق الغد لانكم انتم لَسْتُم خالقيه وانما خلق لكم فخالق الغد هو ياتيكم فيه رزقه ولا يقولَنَّ احدكم اذا اقبل الشتآء ماذا آكُلُ وماذا اَلْبَسُ وفي الصيف من اين آكل ومن اين اشرب فان اباكم الذي في السمآء يعلم انكم تحتاجون الى ذلك وهو يوتيكم اياه" ثم قال في اغتياب الناس "لا تدينوا ولا تُعَقِّبُوا لكي لا تدانوا ولا تُعَقَّبُوا فان بالدين الذي تدينون به تدانون وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم فما بالك ايها

الانسان تَرَى القذى الذي في عين اخيك وفي عينك خشبة لا تهمك او تقول لاخيك دَعْني اخرج القذى الذي في عينك وفي عينك انت سارية اخرجْ اولا السارية من عينك وحينئذ تنظر في اخراج القذى من عين اخيك" ثم قال في الطلب والتضرع الى الله جل وعز ووعده بالاجابة " اطلبوا تجدوا اسالوا تعطوا اقرعوا يفتح لكم فان من سال بنية صادقة اعطي ومن طلب بايمان خالص وجد ومن استفتح بقلب سليم فتح له من منكم يساله ابنه خبزا فيعطيه حجرا او يساله حوتا فيناوله حية فان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تعطوا اولادكم العطايا الجيدة فكم بالحري ابوكم الذي في السمآء عنده الخيرات وياتي للحسنات والبركات ويفيض نعمه على اوليآئه واهل طاعته الذين يسالونه بنية صادقة ويقين خالص" ثم قال في اصطناع المعروف الى الناس "كل ما احببتم ان يفعل الناس بكم افعلوه انتم بهم ولا ترضوا للناس الا ما ترضونه لانفسكم فان هذا هو كمال البر" ورضى الله عز وجل .

ولعل عايبا عاتيا بقلة دينه يعيب الفاظ الانجيل ويقول في تسمية المسيح سيدنا الله تبارك وتعالى ابانا فنجيبه في هذا بجواب مقنع ونقول ان المسيح اله العالم وسيده اراد ان يحبب طاعة الله الى الناس ويقربها من قلوبهم لتكون طاعتهم له بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهبة وان يولف بين قلوبهم ويخرج العداوة منها ويرفع ذكر التفاخر بالانساب الذي اوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالاخوة التي هم فيها كما هم في الطبيعة أجْمَعَ اخْوَةٌ

لاب واحد وام واحدة وكذلك احب ان يكونوا في جميع الحالات
ليس كما فعل صاحبك حيث زرع البغضة بين الناس بقوله " يا
ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عَدُوًّا لكم فاحذروهم وان
تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم" (تغابن ١٤) والسيد
المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم ابوكم الذي في السموات يفعل بكم
كذا وكذا ويصطنع اليكم كيت وكيت كل ذلك ليزرع في قلوبهم
محبة بعضهم لبعض فتنحل الضغائن ويرتفع التفاضل ولعمري ان الله
جل وعز هو الاب الرحيم المشفق المتحنن المجمل اذ كان بدا فخلقنا
جودا واحسانا قبل ان نكون تفضلا منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا
برحمته ويتفقدنا بجوده ويتعهد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ويحتمل بكرمه
وطول اناته جهلنا ولا يعجل علينا كما يفعل الاب المشفق على ولده
" ثم اذا ادبنا خلط بادبه الرأفة والرحمة" (عبرانيين ٢) فلا يصل الى
الغاية التي نستحقها بذنوبنا فمن احق واولى بان يسمى باسم الابوة
الحقيقة من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره فلا حجة اذن للمنكر في
انكاره على المسيح سيدنا حيث يسمي الله ابانا . ثم قال في اداء الفرائض
" صوموا وصلوا وادوا الفرائض التي اوجبها الله فاذا فعلتم ذلك كله فقولوا
اننا عبيد بطالون انما عملنا ما أُمرنا به" وقد تحققت لنا اقواله
ووصاياه لما كان يظهر لنا من سيرته انه كان صائما مصليا لا بيت له ولا
مَاوَى ولاشيء من القنية اكثر من ثوبين يواري بهما جسده فقد
قال له بعض السائلين يا عظيمنا اين منزلك لآتيك فيه فاجابه ان
للثعالب أُجرَةً ولطيور السماءَ اوكاراً واما انا فلا بيت لي ولا مَاوَى

حيث ادركتُ فهنالك مسبيّ ومتى طلبتني وجدتني لم يتكلم باطل قط ولا هم بخطيئة ولا اقترف ذنبا ولا ارتكب اثما ولا قبيحة ولا اعاب احدا ولا اذاه ولا منع طالبا ولا رد سائلا ولا اعرض عن مستغيث ولا عن مستميح كما سبق قول النبي فيه (اشعياء ٥٣) ثم اتبع ذلك فحقق قوله بالاعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفي المرضى الذين لا يعرف عددهم الا هو تبارك اسمه ويبرئهم من ادوائهم ويكشف عن اسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه طهر البرص واخرج الشياطين وبسط ايدي العسم واحيى الموتى الذين ماتوا واتت عليهم الايام الكثيرة مثل العاذر اخي مريم ومرثا ومثل ابنة يايروس رئس الكهنة وعبد العامل وابن الارملة وغيرهم واخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكمنه افئدتهم وبكلمته أبْرَأَ المفلوجَ وامر المقعد الذي اتت عيه ثمان وثلثون سنة زَمَنًا ان يحمل سريره على عاتقه ويمضي محاضرا مكان ذلك ونادى الشياطين فاجابته مذعنة لامره طائعة لربوبيته مقرة له انه كلمة اللّٰه الحي وانه هو الذي يبطل سلطانها وتساله ان يهل عنها وغفر الخطايا ومحا الذنوب بالكلمة الخالقة الممجدة بروح القدس الحالة فيه وفتح اعين الأكمه المعروف بالعَمَى على طول الايام وخلق لبعضهم الاعين من الطين المجبول بريقه قدرة منه على الخليقة واشبع من خمس خبزات وسمكتين خمسة آلاف رجل خلا النساء والصبيان وفضل من ذلك اثنى عشر مَنًّا كِسَرًا وكان مباركا حيث كان وَغَيَّرَ الماء المصبوب في ستة اجاجين خمرا وذلك في عرس في الجليل وتباركت به الصبيان ونادت به الاطفال ولعن شجرة تين فجفت

من ساعتها وزجر امواج البحر في شدة الريح فانتهت ومشى على الماء ظاهرا وتجلّى لتلاميذه في الجبل مع موسى وايلياء النبيين وخبّر السامرية بخبرها مع الازواج وابرا المراة التي كان بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة سنة وذلك بمجرد لمسها ثوبه وظنت انه لا يعلم بها فعلم بالقوة التي خرجت منه وقال للجماعة من لمس ثوبي واتت المرة وسجدت له واقرت بما فعلَتْ فقال لها ايمانك شفاك امضي بسلام وكوني بريئة من علتك وامر الشياطين ان تدخل في الخنازير وتغرق في البحر فاجابت وانتهت الى طاعته وفعل افعالا كثيرة لو نسق جميعها الرُّسُلُ لطال الكتاب بها وقد تركنا ايضا كثيرا منها لئلا يطول كتابنا هذا ولانني اعلم انك قد قرات الانجيل المقدس حيث كان ما اثبته التلاميذ من ذلك منسوقا فيه ومن قول صاحبك وشهادته "واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس" فكيف يحيل عليك اصلحك الله ان هذه الافعال ليست الهية ولا يحيل ذلك الا على من اظلم عقله بالحسد واعمي بصره بالغيرة ومن حملته محبة الدنيا على اهلاك نفسه ومن اتبعه بالافك وكل ذي لب ناصح لنفسه اذا هو نظر في كتابنا هذا وتصفح هذه الامور بعين الحق والنصفة واقاسها بافعال صاحبك تَبَيَّنَ له الحق من الباطل وان كان لا يقاس بامر المسيح شيءٌ من الاشياء بالبهت والكذب والدعوى الباطلة ونحن نعلم وانت ان افعال المسيح ليست من افعال البشريين وان امر صاحبك قد تَهَيَّاَ لجماعة من الناس ممن قد راينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين في سائر الازمان فان قلت ان

الانبيآء كانت تفعل الاشيآء المعجبة التي ليس في قدرة العالمين ان يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره قلنا لك نعلم ان الانبيآء كانت تفعل ذلك لكن بعد التضرع الشديد والطلب الطويل والمسالة الملحفة لا بالقدرة القاهرة والامر النافذ الذي لا مرد لـه ولا شيء يعتاص عليه او يضاده مثلما كان يفعل سيدنا المسيح لان اولآئك انما كانوا يفعلون الشيء المعجز كما يفعل العبيد المشفقة بحسب الطاعة لانفاذ الامر الذي وجهوا به وتبليغ الرسالة وانت تعلم ان موسى قبل فلق البحر لبني اسرائيل ما زال مصليا راكعا ساجدا طالبا حتى قال الله لـه "لِمَ تصلي قُمْ فاضرب البحر بعصاك فانه ينفلق بين يديك" هكذا تجده في التورية وكذلك يشوع بن نون وايليآء واليشاع كانوا يتضرعون ويطلبون في صلواتهم فعند ذلك يوذن لهم في عمل الآية وذلك بعد المسالة الملحفة على ان بعضا دعا وصلى وتضرع فلم يجب مثل موسى نجي الله فانه تعالى قال لـه لا ادخلك ارض المواعيد وهي بلاد الشام لانك لم تصدقني ولم تقدس اسمي امام بني اسرائيل وذلك في المكان المعروف بمآء الخصام لضربه الصخرة ضربتين فحرمه من دخول ارض الميعاد ومثل ارميآء المغبوط في الانبيآء قد دعا فقال الله عز اسمه في بعض ما دعا اني لا اسمع دعآءك ولا اقبل صلاتك .

فاما سيدنا يسوع المسيح الذي هو الابن الحبيب كما شهد ابوه لـه قائلا " هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ" فانه فعل الاشيآء بالقوة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والارض المتحدة بـه فهل يقدر مخالف ان يتعنت او يبطل هذا القول الا بالحسد والمعاندة

للحق والافتراء على الله الاب وكلمته وروح القدس مثل من يقول ان الشمس مظلمة والنار غير محرقة فباهت بذلك العيان وكفاه بهذا خجلا . واذ قد نقلنا بعض شرائع المسيح سيدنا واخبرنا ببعض عجائبه فلنذكر الان كيف اتخذ تلاميذه الحواريين وبعث بهم الى اهل العالم دُعَاةً الى الحق فنقول انه اتخذ قوما اميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا حسب ولا ايسار صيادي سمك وعشاري خراج ففتح قلوبهم وملأها نورا وحكمة فقهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر وتذلل لهم كل ملك عزيز وكل سلطان شديد وكل جبار عنيد ودخل في طاعتهم كل شريف وحسيب وافتقر اليهم كل غني حتى دان لهم ذوو الايسار واقر لهم كل ذي علم وفهم وانقطع عند حجتهم كل ذي بلاغة ودانوا لهم بالطاعة واقروا لهم بالاجابة غير منكرين ولا جاحدين بل قائلين بالفضل الذي اوتوه ومعترفين لهم بالنعمة التي ظهرت عليهم والايد الذي أيّدُوا به وتلك الآيات والعجائب التي اظهروها حين قال لهم " اذهبوا فادعوا الامم الى حيوة الابد وبشروهم بالبعث والنشور وقيامة اجسادهم وفيها ارواحهم وتخليصهم من اسر الموت وفكهم من سلطانه واطلاقهم من حبسه الذي هم فيه وقد اعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والعجائب مجانا اعطيتكم مجانا اعطوا لا تأخذوا ذهبا ولا فضة من احد تضعون ايديكم على المرضى فيبراون والموتى فيحيون باسمي ليعجب العالم منكم ويكون لي حجة عليهم " فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم

الى الحق مجتهدين غير مفترين ولا مستاثرين لشيءٍ من الدنيا وعدة هولآء سبعون رجلا الذين وجههم قبل ارتفاعه الى السمآء بالكرامة والمجد . واختار اثني عشر رجلا كانوا ملازمين لـه وهم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكل اموره في كل احواله وهم الناقلون اخباره بالحق والصدق الى الامم وكانت مخاطبته اياهم وعهده اليهم قائلا ان الذي يعمل ويعلم هذا يدعى اسمه كبيرا في ملكوت السموات وعظيما واذا انتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت السمآء والعمل بالبر ولا تكثروا للخطب والتعديد وتشغلوا قلوبكم بطلب الرزق الذي قد كفيتموه فان اباكم الذي في السمآء اعلم بحوائجكم وما يصلح بكم ولكن اذا دعا احدكم فليدع هكذا :

" ابانا الذي في السموات ليتقدّس اسمك ليأْت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السمآء كذلك على الارض اعطنا خبزنا كفاتنا يوما فيوما واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نغفر نحن لمن اسآء الينا ولا تدخلنا في التجارب لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد امين ."

ثم قال لهم اني موجهكم مثل الحملان بين الذئاب ولكني مؤيدكم فكونوا حكماء في اموركم واذا قدمتم الى السلاطين والحكام والقضاة فلا تهابوهم ولا تميلوا عن الحق معهم ولا ترهب قلوبكم عند مخاطبتكم اياهم بالمواعظ فانهم لايملكون لانفسكم ضرًّا وانما سلطانهم على اجسادكم فقط فاصبروا اذا الجاوكم الى الحبس والضرب والقتل واذكروا من لـه سلطان على انفسكم واجسادكم معا لانه هو القادر على ان

يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفو عنكم ولا تهفوا بما تكلمونهم وتحاجونهم به مافي معطيكم في الوقت من الحكمة بالروح القدس ما تحتاجون اليه واعلموا ان من جحد دعوتي وانكر البشارة باسمي انكرته يوم القيامة اذا وقف مع الخلائق بين يَدَيَّ للحكم والقضآء ومن اقر بدعوتي والبشارة باسمي بين يدي الناس ولم يجحد ذلك ولم يكتمه اقررت به انه من اوليايي يوم الدين اذا وقف مع الخلائق بين يدي . ثم قال لهم عليكم بالتواضع فطوبى للمتواضعين طوبى للمطهرة قلوبهم كونوا رحماء فطوبى للرحومين فانهم يستحقون الرحمة من ربهم . ثم قال لهم صِلُوا من قاطعكم اعطوا من منعكم احسنوا الى من اسآء اليكم سلموا على من سبكم صالحوا من بغضكم اصفحوا عمن اهانكم انصفوا من خاصمكم واعفوا عمن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم فانكم اذا لم يرحم بعضكم بعضا كيف يرحمكم الله واذا لم تحسنوا الى الناس كيف يحسن الله اليكم كونوا متفضلين حتى يجود الله عليكم فحقا اقول لكم كما تفعلون كذا يفعل بكم . ثم قال ان ضوء الجسد عيناه فان كان البصر مستضيئا استضاء الجسد كله وان كان البصر مظلمة كان الجسد ايضا في الظلام كذلك العبد اذا كان عالما بربه ابصر ذنبه واذا كان جاهلا بربه عمي عن ذنوبه وكما ان لا قوام للجسد الا بالنفس الحية كذلك لا قوام للدين الا بالنية الحسنة الصادقة واياكم والنظر الى عيوب الناس وان تعاتبوهم على اصلاحها لكن ابداوا باصلاح عيوب انفسكم وغطوها بافعالكم لا تعطوا القدس للكلاب ولا تنثروا درركم قدام الخنازير ولا تذكروا الحكمة للسفهآء ولا تتكلموا

بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله . ثم قال ما اسهل السبيل التي تودي الى العطب والهلاك وما اوسعها واعمرها واكثر سالكيها وما اثقل السبيل التي تودي الى الحيوة وما ابطا سالكيها واقل عامريها احتفظوا من الكذابين واحترسوا من المرآئين على ظهورهم ثياب الصوف كالحملان وهم من داخل كالذئاب الخاطفة يعرفون بسيماهم هل يجتنى من العوسج عنب او من الحنظل تين كذلك لا يُنتفع بقول ولا بموعظة من مثل هولاء واحذروا من الانسيآء الكذبة الذين ياتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة . امضوا فادعوا الناس الى حيوة الابد وعلموهم ما علمتكم من الحكمة الروحانية وخبروهم بما رايتموه مني وزهدوهم في هذه الدنيا الفانية الغرارة ورغبوهم في دار الآخرة واعلموهم ان الله تبارك وتعالى باعث من في القبور ومحيي الموتى ومدين الخلائق ممن عمل صالحا ورث الحيوة الدائمة التي لا موت يقطعها في ملكوت السمآء وجوار رب العالمين الذي لا شيء افضل منه مع الامن والعافية في نعيم لا يزول ولا ينقضي فمن افسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفة والعداوة والمعاندة فجزآوه يوم الدين نار جهنم التي لا تطفى خالدا فيها والعذاب الدائم الذي لا انقضآء لـه وغضب الله وسخطه الذي لا رضى بعده ممن ردّ دعوتي فقد ناصب الله ورد امره . وقد اعطيتكم من الآيد والسلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس دعوتكم لكن الحجة البالغة عليهم ضعوا ايديكم على المرضى الميئوس منهم فيبراون باسمي ونادوا الموتى فيحيون واخرجوا

الشياطين من الناس وافتحوا اعين العمي وطهروا البرص فلا شي يعاندكم ولا يقاومكم وكل ما ربطتموه على الارض كان مربوطا في السمآء وكل ما حللتموه كان محلولا حتى تنير دعوتي في جميع الارض ولا يكون موضع خاليا من دعوتي لانها الى الناس كافة لانها نعمة مبثوثة على جميع ذرية ادم فمن دخل فيها حظ نفسه وربح وامن وسلم وفاز وغنم ومن ضل معرضا خاب وخسر . ها انا ذا موجهكم بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا سلاح ولا ملك ولا جنود ولا قهر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاحفة ولا جدال ولا مناظرة ولا اضطهاد ولا عنف ولا ترغيب في ملك ولا لذات الدنيا وشهواتها ولا تسهيل في السنن فنادوا في الناس وادعوهم الى التوبة والخروج عن الاهل والولد والاموال والنعيم ورفض الدنيا والتذلل والخضوع وصححوا قولكم وضمانكم لهم ملكوت السموات بالآيات المعجبة التي اعطيتكم السلطان والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورغبوهم في الثواب وحذروهم من العقاب ولا تاخذوا ذهبا ولا فضة ولا تريدوا من احد اجرا ولا شكرا كلوا من كد ايديكم وما فضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين ولا تدخروا للغد وامنحوا الناس منحتكم بلا غش ولا غل واعطوهم من ذلك مجانا كما اعطيتكم ولا تمنعوا طالبا ولا تردوا سائلا واسعفوا الناس جميعاً وابذلوا لهم المجهود من انفسكم سيروا بالبشارة ولا تفتروا فان ملكوت السمآء قد دنت وها انا معكم ومع كل من دعا باسمي جميع ايام الدنيا الى انقضآء الدهر . ثم انه اراد ان يكمل التواضع الى الغاية القصوى فلم يمتنع من ايدي الكفرة حتى

قالوا منه ما قالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول " يا ابت اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يفعلون" ثم مات بجسده واقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم انـزل ودفن واقام في القبر الى صبيحة يوم الاحد ثم انبعث حيا بلاهوته وتراءى للنسوة اللاتي جئن الى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحواريـيه مرة في الجليل ومرتين في الغرفة التي كانوا فيها نُزّلا ومرة في الطريق وبعضهم ماض الى القريـة التي تدعى عمواص ومرة على شاطيء البحر وهم يتصيدون السمك واكل معهم عدة مرار كل ذلك في خلال اربعين يوما وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التي عهدها اليهم ويخبرهم انـه سيوجه لهم البارقليط الذي هو الروح القدس لتاييدهم فلم يـزالوا كذلك الى ان صعد الى السمآء صعودا ظاهرا مكشوفا بحضرة من كان حاضرا في ذلك الوقت وهم ينظرون الى ابواب السمآء مفتحة وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهي تخاطب وتقول ايها الناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد صعد الى السمآء ممجدا وهو مزمع ان ياتي ثانية في آخر الايام فيرى نازلا في ذلك الوقت كما ترونه الساعة صاعدا ليبعث من في القبور ويدين للخلائق ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه وذلك الجبل الذي صعد منه جبل الزيتون من بلاد الشام معروف مشهور بهذه الصفة الى هذا الوقت .

فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف اذ يقول معلنا " اذ قال الله يا عيسى اني مُتَوَفِّيكَ ورافعك اليَّ ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا وجاعل

الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليّ مرجعكم فاحكُمْ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحبّ الظالمين . ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم" (آل عمران ٤٨ و٥١).

فهذا فتح الله عقلك الى الصواب قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله كما ادعى وادعيت لـه فتثبّتْ في النظر وانصح لنفسك في الاستقصاء ولا تَمِلْ الى غير الحق فانك ان انصفتَ ظهر لك ابيض النور وتلألأ الحق .

ثم لما كان بعد صعوده الى السماء بعشرة ايام كان الحواريون مجتمعين في الغرفة التي كانوا ينزلون فيها معه اذ سمعوا هَادَّةً عظيمة شديدة وتجلى عليهم الروح القدس الذي هو البارقليط فصار على كل رجل مثل اللسان من النار فجعل يتكلم بلسان البلد الذي وجد ليبشر فيه بالمسيح مخلص العالم ومنقذه ويدعو اهل ذلك البلد الى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الآيات المعجزة فعند ذلك تفرق الحواريون كل رجل منهم الى البلد الذي ندب اليها واعطي معرفة لسانها وكلام اهلها وكتبوا الانجيل الطاهر وجميع اخبار المسيح واقاصيصه بكل لسان عن املاء الروح القدس فدانت لهم الامم واستجابوا لقولهم ورفضوا هذه الدنيا ومالوا الى الامر الواضح وتركوا اديانهم ودخلوا في النصرانية عندما اشرق لهم نور الحق وتلالا نور البشارة فايقنوا وآمنوا مصدقين غير مرتابين ولا شاكين حيث

ميزوا الحق من الباطل والكفر من الايمان والهدى من الضلالة والرشد من الغيّ وراوا الاعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح التي آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة فنحن الذين قبلناه منهم لم نزد فيه ولم ننقص منه وعليه نحيي وعليه نموت ونبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه اذا هو دان الخلق جميعهم ليس كسيرة صاحبك وسيرة أصحابه الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب والخبط بالسيوف وسبي الذراري والتغلب على البلدان ونهب الناس اموالهم وهتك حريمهم واستعباد الاحرار وهم في هذه الحال الى هذه الغاية يحملون الناس على المحارم وعلى مساوي الاخلاق حتى تعلموا فقالوا في ذلك ما لم تفعلوه مثل قول عمر بن الخطاب آلا مَنْ كان جَارُهُ نبطيا واحتاج الى ثمنه فَلْيَبِعْهُ ومثل هذا كثير مما يشاكله من القول والفعل وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من ابرآء المرضى بامرهما وطلبهما واقامة الموتى باسم المسيح سيدنا .

وان قلت ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثلما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا الى البلدان رجعنا اليك بالجواب وقلنا انهم لما مضوا للبلدان للدعوة واجتذاب الناس الى الاقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك الى كثرة الآيات وتواتر العجائب لتصح دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحة دعواهم فليس الرهبان اليوم دعاة وان كان كثير منهم يتكلفون فعل ذلك لدى الخواص خفية ليُعْلَمَ ان تلك النعمة ثابتة فيهم باقية فاذا جرى

لهم امر احتاجوا الى اظهار قوتهم للعامة اظهروها ليعرف ذلك من اعمالهم في المشرق والمغرب وحيث حلوا ولو ان الرهبان تكلفوا احياء كل ميت واشفاء كل مريض في كل وقت لم يمت احد ولم يكن للقيامة رجاء ولا للدنيا زوال وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة وانما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجرى على ايديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقةً لما هم فيه من ذلك التعب والنصب وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم وايضاً فمن قصدهم بقلب سليم ونية صحيحة واتاهم مستغيثا فيصلوانهم وبركة دعائهم ادركوا طِلبتهم وايضاً لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التجارب كما ظهرت للاولين وكانت دائمة كما كانت في ايام الجهل وعدم الادب لما كان للناس في ايمانهم وطاعتهم حمد الّا كحمد الدولب التي لا تستغني في الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصا لكن اذ فضّل الله تبارك اسمه جوهر الانسان على البهائم وانعم عليهم بالعقل والتمييز كلفهم استعمال رايهم في احراز علم ما غاب عنهم من برهان الحق عن دينه فاذن ليس يحتاج اليوم الناس الى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين الّا مَنْ رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلة ادراكها .

فقد شرحت لك قصة المسيح سيدنا على غاية الاقتصار وبعض اخبار الحواريين الذين نقلنا عنهم ديانتنا التي نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الان ما تريد جمعه منها الى ما في يدك واستعمل الانصاف واصدق نفسك ولا تغشها وان قبلت مني فاني لك من

الناصحين يشهد الله والملائكة عليَّ بذلك ان تركتَ مشاركة الفجرة الجهال واقبلتَ الى نور الانجيل وضياء بشارة المسيح تَصِرْ من اوليائه وترث ملكوت السماء وحيوة الابد التي لا انقطاع لها والنعيم الذي لا تبلغه صفة الاميين وخَفْ ممَّنْ سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو يقدر ان يرحمك ويقبلك كما يقبل الاب الولد الشارد فانك تكون من الموفقين فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفل ولا تغتر بهذه الدنيا وتتعلق باسبابها وتنغمس في شهواتها فانها غدّارة مهلكة لمن مال اليها وانظر لنفسك قبل فوت النظر وردد فكرك في ما قد كتبته اليك وشرحته لك من الاشياء التي قلّدتُّها كتابي هذا وقس بعضها ببعض واستعمل في ذلك قانون العدل وميزان الحق وآثره وملْ اليه وتجنب الباطل وتنحَّ عنه واهرب من الامور المدلسة فانها انما هي بهرجة على قوم جهال اغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا تادب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة فليس هذا الامر من الامور التي يجوز ان يُغْفَلَ عنها حتى لا يلتفت اليه لانه هو الامر المحصول عليه في الوقتين معا في هذه العاجلة وفي الآجلة وقتَ لا يُقْبَلُ منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج واعلم علما يقينا ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا يخيب من طلبها لرضى الرب واجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه في كتبه اما انا فقد بلغت جهد طاقتي في النصيحة لك ولكل من نظر في كتابي هذا وما ابقيت عند نسقي في ذلك غاية واسال الله ان يوفقك وايانا على

العمل الصالح بطاعته ويعصمنا من معاصيه ويشركنا في ملكوته مع اوليآئه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . آمين

تنبيه

يقول المتولي تصحيح هذه الصفحات انه ما حصل بيدي لهذا العمل الا نسختان احداهما منقولة على ما قيل عن نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية والثانية عن نسخة من احدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ ولا تاريخ النسخ والنسختان في غاية التحريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع فاجتهدت في التاليف بينهما على قدر الامكان ومن بذل وسعه فلا لوم عليه وان قصر . هذا ووجدت في آخر النسخة المصرية الزيادة الاتي نصها بحروفها " بلغنا انه انتهى الامر الى المامون في خبر الرسالتين فامر باحضارهما وقرئتا عليه فلم يزل ناصتا حتى جآء الى آخرهما فقال ما كان دعاه الى ان يتعرض لما ليس من عمله حتى اجاد (ولعل الصواب اجاز) كتاف نفسه فاما النصراني فلا حجة لنا عليه لان الامر لو لم يكن عنده هكذا لما اقام على دينه والدين دينان احدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة اما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جآء به من دراسته (كذا ولعل لصواب ما جآء به زرادشت) واما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جآء به المسيح واما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جآء به صاحبنا فانه الدين الجامع الدنيا والآخرة " اه . اما الرسالتان فقد ذكرهما

العالم الشهير ابو ريحان محمد بن احمد البيروني في كتابه المسمى "الآثار الباقية عن القرون الخالية" اذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قربانا للقمر هلال . "وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكندي النصراني عنهم (اى الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي انهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهرا" اه . واما عبد المسيح هذا فما عثرتُ على ذكرله في شيء مما تيسر لي مراجعته من التواريخ الاسلامية سوى ما نقلنه هنا عن البيروني والله اعلم ما نسبة من يعقوب بن اسحاق الكندي الشهير صاحب الكتب الوثابة الملقب بفيلسوف الاسلام

مطبع گلزار اور روزگار میں چھاپا گیا ہے ـ لندن ـ انگلستان



not found